جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

النفاق والمنافقون
(دراسة في القرآن والسنة)

إعداد
أنس محمود مصطفى اشتيوي

إشراف
د. حسين عبد الحميد النقيب
د. منتصر نافذ الأسمر

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين
2016م

النفاق والمنافقون

(دراسة في القرآن والسنة)

إعداد

أنس محمود مصطفى اشتيوي

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 26 / 2016/12م وأجيزت.

اعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
د. حسين عبد الحميد النقيب	/ مشرفا ورئيساً	.....
د. منتصر نافذ الأسمر	/ مشرفا ثانياً	.....
د. سعيد دويكات	/ ممتحناً خارجياً	.....
د.عودة عبدالله	/ ممتحناً داخلياً	.....

الإهداء

إلى الذين يسيرون على هدي النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم.

إلى الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل الله تعالى.

إلى الذين دفعوا ضريبة من أعمارهم خلف قضبان السجون رفضاً للذل والهوان.

إلى المرابطين والمرابطات على أرض المسرى والرباط.

إلى كل من أسهم في كشف مواطن النفاق والمنافقين.

إلى والدي الكريمين حفظهما الله تعالى ورعاهما.

إلى زوجتي الصابرة الغالية.

إلى قرة عيني، أبنائي الأربعة.

إلى كل من كان له دور في إتمام هذه الدراسة لترى النور.

إليهم جميعاً أهدي هذه الرسالة.

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه المؤمنين الصادقين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

أتقدم بجزيل الشكر والإمتنان، للأستاذين الفاضلين: الدكتور حسين النقيب، والدكتور منتصر الأسمر، المشرفين على رسالتي، اللذين أمداني بكل عون ومساعدة وتوجيه، فتابعا دراستي بهمة عالية، وصدق وإخلاص، فكان لهما الفضل الكبير في إتمام هذه الرسالة وإخراجها إلى حيز الوجود.

وأتقدم بأصدق معاني الشكر والعرفان، إلى أعضاء لجنة المناقشة المحترمين، ممثلة بالدكتور: سعيد دويكات ممتحناً خارجياً ، والدكتور: عوده عبد الله ممتحناً داخلياً.

وأتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى جامعة النجاح الوطنية، ممثلة بكلية الشريعة.

وإلى جميع المحاضرين في كلية الشريعة، الذين يؤدون واجبهم على أحسن وجه، ويقومون على خدمة هذا العلم النبيل.

وأشكر من أعماق قلبي كل من قدم لي المساعدة والعون، في تدقيق وتنقيح المادة العلمية، وإخراجها بشكل فني مناسب.

الإقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

النفاق والمنافقون (دراسة في القرآن والسنة)

أقر بأنَ ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص؛ باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها؛ لم يقدم لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحثيّ لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

اسم الطالب: أنس محمود مصطفى الشيوي **Student's Name:**

التوقيع: أنس محمود **Signature:**

التاريخ: 2016/12/26م **Date:**

فهرس المحتويات

الإهداء	ت
الشكر والتقدير	ث
الإقرار	ج
فهرس المحتويات	ح
الملخص	ذ
المقدمة	1
الفصل الأول: مفهوم النفاق	8
المبحث الأول: تعريف النفاق لغة	9
المبحث الثاني: تعريف النفاق اصطلاحاً	12
المطلب الأول: دلالة لفظ النفاق في القرآن الكريم	12
المطلب الثاني: مصطلح النفاق في الحديث النبوي	14
الفصل الثاني: صفات المنافقين	17
المبحث الأول: مرض القلوب	18
المبحث الثاني: موالاة الكافرين	24
المبحث الثالث: خذلانهم للمؤمنين في الشدائد والفرح بمصائبهم	28
المبحث الرابع: الإفساد في الأرض	32
المبحث الخامس: الظنّ السيء بالله تعالى	43
الفصل الثالث: أساليب المنافقين في المدينة المنورة	45
المبحث الأول: التشكيك	46
المبحث الثاني: الرياء	49
المبحث الثالث: نشر الفاحشة	53
المبحث الرابع: التثبيط	56
المبحث الخامس: اختلاق الأعذار	59
الفصل الرابع: الأسلوب النبوي في معاملة المنافقين	61
المبحث الأول: معاملتهم كالمسلمين	62
المبحث الثاني: حضهم على التوبة	66
المبحث الثالث: جهادهم بالحجة والإغلاظ عليهم	69

المبحث الرابع: عدم قتلهم	71
الفصل الخامس: مواقف ظاهرها النفاق	73
المبحث الأول: الانشغال بالدنيا والتنعم بخيراتها	74
المبحث الثاني: الانفعال والحمية مع سلامة الصدر	78
المبحث الثالث: الخطأ العابر لمن له سابقة في الخير	80
المبحث الرابع: التقصير في الواجبات من قبل أصحاب الفضل	84
الفصل السادس: النفاق في الواقع المعاصر	89
المبحث الأول: النفاق الاجتماعي	90
المبحث الثاني: النفاق السياسي	96
المبحث الثالث: النفاق الإعلامي	100
الخاتمة	103
قائمة المصادر والمراجع	106
Abstract	B

النفاق والمنافقون

(دراسة في القرآن والسنة)

اعداد

أنس محمود مصطفى اشتيوي

إشراف

د. حسين عبد الحميد النقيب

د. منتصر نافذ الأسمر

الملخص

تعاني الأمة اليوم من نكبات وويلات كثيرة ومتنوعة، هذه الويلات والنكبات للنفاق اليد الطولى والإسهام الأكبر في انتشارها وزيادتها، لذلك جاءت هذه الرسالة لتتحدث عمّا تواجهه الأمة من خطوب عظام جراء وجود النفاق وأهله، ولتبين المخاطر المحدقة بالأمة، بالكشف عن صفات المنافقين وأساليبهم ووسائلهم، من خلال آيات القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، ولاستخلاص العبرة والحكمة لمواجهة النفاق في العصر الحالي، الذي بلغ أوجه دون أدنى ريب.

كشفت الدراسة عن صفات المنافقين في العصر النبوي، وأساليبهم ووسائلهم في محاربة الدعوة الإسلامية، ووضحت المنهج النبوي الحكيم في التعامل مع هذه الظاهرة الخطيرة، وبينت خطر النفاق في العصر الحالي.

اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي في شقها الأول بهدف جمع المادة العلمية، و المنهج التحليلي في شقها الثاني لتحليل المادة العلمية، واستخراج العبر والنتائج وكتابة التوصيات.

وبالإشارة للنتائج فإن أبرز ما توصلت له الدراسة هو أنّ النفاق لا يخرج في معناه الإصطلاحي بصورة أو بأخرى عن المعنى اللغوي، والنفاق ظاهرة بارزة في العهد النبوي المدني ولم تكن كذلك في العهد المكي، نظرا لعدم توفر أسباب نشأته، وقد تعدد النفاق وتنوعت أساليبه ليشمل جميع مناحي الحياة، وتكمن خطورة النفاق عند المواقف الحرجة والحساسة للأمة، كما حدث في

غزوتي أحد والخندق، يجب على الأمة والفرد محاربة كل مظاهر النفاق مستفيدة من المنهج النبوي الحكيم، حتى تتمكن الأمة من استعادة عافيتها وماضيها التليد.

تشتمل هذه الرسالة على مقدمة، وستة فصول وخاتمة، فأما المقدمة ففيها الحديث عن الدراسات السابقة للموضوع، وبيان أهمية الدراسة، وفرضياتها والأهداف المتوخى إنجازها، وفي المقدمة أيضا توضيحٌ للمنهج المتبع في إعداد الرسالة، كما تناولت المقدمة الأسباب الداعية لاختيار هذه الدراسة.

وأما بالنسبة للفصول الستة التي عرضتْ الدراسة، فقد تم الكشف عن معنى النفاق في اللغة والاصطلاح، ودلالته في القرآن والسنة، في الفصل الأول منها.

وفي الفصل الثاني تحدثت الدراسة عن صفات المنافقين، ليخصص الفصل الثالث للحديث عمّا أفرزته صفاتهم من أساليب اتبعوها في المدينة المنورة، وبعد بيان أسلوبهم تم الحديث مباشرة في الفصل الذي بعده (الفصل الرابع) عن الأسلوب النبوي في التعامل معهم، ثم عالجت الدراسة في الفصل الخامس المواقف التي ظاهرها النفاق وليست ناتجة بالضرورة عن المنافقين.

وفي الفصل الأخير (السادس) خلصت الدراسة إلى واقع النفاق في العصر الحالي، وبيان مظاهره وأشكاله.

وأخيراً تم تدوين ما تم التوصل إليه من نتائج وحلول لفرضيات الدراسة وتساؤلاتها في الخاتمة.

وقد اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع، يأتي في طليعتها كتب اللغة والحديث والتفسير.

المقدمة

الحمد لله كاشف زيف المنافقين وفاضحهم على الملأ، بما علّم الناس من صفاتهم وأعمالهم، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ورضي الله عن صحابته الذين اتبعوه بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

إنّ النفاق داءٌ عضال، حذّرنا منه رب العزة جل وعلا، وكشف لنا صلى الله عليه وسلم أسراره، وهو مرض تفشى وانتشر في الأمة بشكل واضح لا يخفى على كل ذي بصيرة، ووجوده في الأمة وبهذه الصورة خلخل أساسها، وصدّع بنيانها، وشتت شملها، وفرق جمعها، والمؤسف حقيقة أن هذا الداء في ازدياد وعلو، على حساب مجد الأمة وعزها.

ومن المؤكد أيضاً أنّ الأمة الإسلامية لن تتوحد، ولن يكون لها حضور بين الأمم، كما كان ماضيها التليد، طالما النفاق موجود، والمنافقون حاضرون بارزون، لذلك يرى القارئ الحاذق لسيرة خير الأنام صلى الله عليه وسلم أنه ما عالج هذا الداء العضال بأسلوب واحد، بل نوع وعدد، ليكون علاجاً وافياً شافياً كافياً، ويُتَخَذ قدوة للسائرين خلفه والمستنين بهديه.

وأسأل الله العلي القدير التوفيق والعون منه، على إنجاز رسالتي بما يرضي الله سبحانه وتعالى، وأن يكون هذا العمل خالصا لوجه الله تعالى، وأنْ يكون في ميزان حسناتي يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاستقصاء عن الدراسات التي تناولت موضوع "النفاق والمنافقين" تبين وجود العديد من الدراسات التي عالجت الموضوع بصورة أو بأخرى، ومن هذه الدراسات:

1."ملامح النفاق والمنافقين كما بينتها سنة خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم" للدكتور محمد البيومي، وهي دراسة تتحدث عن الملامح الوجدانية للمنافقين وخصائصها (أربعة فصول)، ويتحدث الكاتب عن الملامح الحسية وخصائصها.

2." النفاق وأثره في حياة الأمة "، دراسة تأصيلية في القرآن والسنة، وهي عبارة عن رسالة ماجستير، لأحمد جمعة حسن سلام، بإشراف الدكتور الحسين بن محمد الشواط. الجامعة الأمريكية العالمية 1415هـ. وقد بين في الدراسة خطر النفاق وأثره في المجتمع، وذكر بعضا من آيات النفاق، ووجه دلالتها دون الخوض في الوسائل والأساليب، وكيفية الرد النبوي عليها، بما يعرف بإدارة الأزمة، واستخلاص المنهج التربوي الصحيح، وربطها مع الواقع المعاصر.

3. "آيات النفاق في القرآن الكريم" (دراسة لغوية)، لمنير أحمد عبد الله، في جامعة عدن باليمن 2006 م، والبحث عبارة عن دراسات صوتية ونحوية وصرفية لآيات النفاق، وليس له علاقة بالمنهج التربوي.

4. "مواقف المنافقين والمتخلفين عن غزوة تبوك" (دراسة تاريخية)، للمعتصم عبد البالي السلمي، بإشراف د. محمد صالح عبد الله، في جامعة الملك عبد العزيز 2013م، وقد ركز الباحث في الرسالة على الجانب التاريخي للمواقف، دون إظهار جانب العبرة والفقه، والاستفادة من المنهج النبوي الشريف.

5. "صفة النفاق وذم المنافقين" أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَفاض الفِرْيابِي (المتوفى: 301هـ)، شرحه وحققه وعلق عليه: أبو عبد الرحمن المصري الأثري، هو عبارة عن كتاب من بابين يتحدث عن الأحاديث التي تذكر صفة النفاق والأحاديث التي ذمت المنافقين، دون التطرق إلى شرحها وتفصيلها والاستفادة منها، فهو كتاب يذكر بعض الأحاديث التي وردت في النفاق.

6. "صفات المنافقين" محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، كتاب أقتصر على صفات المنافقين وانواع النفاق.

ومع وجود هذه الدراسات وغيرها تميزت هذه الدراسة بالحديث عن ظاهرة النفاق كما صورتها السنة، وبينها القرآن، واستعرضت النفاق في العصر الحالي، فوصفته ووضعت الحلول

الواجب إتباعها لوقف هذه الظاهرة الخطيرة من خلال استخلاص الوسائل من النماذج الواردة في الوحيين.

أهمية الدراسة:

تتعلق هذه الدراسة بواحد من أخطر الأمراض التي يعاني منه المجتمع الإسلامي، وهو مرض النفاق، وتكمن أهميتها أيضا، فيما يلي:

1. حاجة المكتبة الإسلامية عامة، والدراسات الحديثية، خاصة إلى مثل هذا النوع من الدراسات.

2. الحاجة إلى إبراز العبرة والعظة من الأحاديث التي ذكرت مواقف النفاق وقصصه في المجتمع الإسلامي، ومحاولة إسقاطها على واقع الأمة الحالي.

3. نشر الوعي في المجتمع والأمة لإدراك خطورة النفاق وعواقبه الوخيمة ونتائجه الكارثية، وهذا سيدفع المسلمين إلى تجنبه والابتعاد عنه، وبذلك تتم الفائدة المرجوة.

مشكلة الدراسة:

تحاول الدراسة الإجابة عمّا يلي:

1.ما صفات المنافقين كما عرّفَها النبي صلى الله عليه وسلم؟

2.ما أساليب المنافقين ووسائلهم في محاربة الدعوة؟

3.ما معالم المنهج النبوي في التعامل مع المنافقين؟

4.ما الحكمة في معاملة المنافقين معاملة المسلمين؟

5.ما الحكمة في عدم قتل المنافقين؟

6.ما أسباب عدم إطلاق النفاق على بعض مواقف الصحابة رضوان الله عليهم؟

7.ما أهداف النفاق في الواقع المعاصر؟

أهداف الدراسة:

1. بيان مفهوم النفاق وحقيقته.

2. بيان معالم المنهج النبوي في التعامل مع المنافقين.

3. بيان خطر النفاق على المجتمع الإسلامي .

4. التعرف على الأساليب والوسائل التربوية التي علمنا إياها النبي صلى الله عليه وسلم في فن التعامل مع المنافقين.

5. رصد مواقف المنافقين في العصر النبوي، لأخذ الدروس واستخلاص العبر منها.

6. بيان خطرهم قديما واستمرارية ذلك بعد عصر النبوة إلى الوقت الحاضر.

7. الاستفادة من المواقف النبوية في التعامل مع المواقف التي ظاهرها النفاق في العصر الحالي.

8. التعرف على أنواع النفاق في الواقع المعاصر.

9. الاطلاع على نماذج المنافقين وأساليبهم في الواقع المعاصر.

منهج الدراسة

اتبع الباحث في هذه الرسالة المنهج الاستقرائي والتحليلي، أما المنهج الاستقرائي فلجمع الأحاديث المتعلقة بالنفاق والمنافقين، والمنهج التحليلي لتحليل الأحاديث والوصول إلى النتائج والفوائد، ولأجل ذلك تم اتباع الخطوات الآتية:

1. تحديد مصطلح النفاق وبيان مدلوله، من خلال كتب اللغة ومعاجمها.

2. وصف الظاهرة انطلاقا من كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه صل الله عليه وسلم .

3. جمع الأحاديث المتعلقة بموضوع الدراسة من صحيحي البخاري ومسلم.

4. ترتيب هذه الأحاديث على موضوعات الدراسة.

5. دراسة هذه الأحاديث مستعينا بكتب شروح الحديث ومعاجم اللغة.

6. الترجمة للأعلام، الذين يغلب على ظني خفاؤهم عن القارئ.

أسباب اختيار الدراسة :

1. التعرف على حقيقة النفاق، وصفاته وأساليبه، وطرق الوقاية منه.

2. وجود دراسات تناولت موضوع النفاق والمنافقين، ولكنها تناولته ببعض جوانبه وبشكل جزئي، ولم تتوسع فيه كما ورد في الكتاب والسنة.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وستة فصول، وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة

الفصل الأول: مفهوم النفاق

المبحث الأول: تعريف النفاق لغة.

المبحث الثاني: تعريف النفاق اصطلاحا.

الفصل الثاني: صفات المنافقين

المبحث الأول: مرض القلوب.

المبحث الثاني: موالاة الكافرين.

المبحث الثالث: معاداة المؤمنين.

المبحث الرابع: الإفساد في الأرض.

المبحث الخامس: الظنّ السيء بالله تعالى.

الفصل الثالث: أساليب المنافقين في المدينة المنورة

المبحث الأول: التشكيك.

المبحث الثاني: الرياء.

المبحث الثالث: نشر الفاحشة.

المبحث الرابع: التثبيط.

المبحث الخامس: اختلاق الأعذار.

الفصل الرابع: الأسلوب النبوي في معاملة المنافقين

المبحث الأول: معاملتهم كالمسلمين.

المبحث الثاني: حضّهم على التوبة .

المبحث الثالث: جهادهم بالحجة والإغلاظ عليهم.

المبحث الرابع: عدم قتلهم.

الفصل الخامس: مواقف ظاهرها النفاق

المبحث الأول: الانشغال بالدنيا والتنعم بخيراتها.

المبحث الثاني: الانفعال والحَمّية مع سلامة الصدر.

المبحث الثالث: الخطأ العابر لمن له سابقة في الخير.

المبحث الرابع: التقصير في الواجبات من قبل أصحاب الفضل.

الفصل السادس: النفاق في الواقع المعاصر

المبحث الأول: النفاق الاجتماعي

المبحث الثاني: النفاق السياسي

المبحث الثالث: النفاق الإعلامي

الفصل الأول

مفهوم النفاق

المبحث الأول: تعريف النفاق لغة.

المبحث الثاني: تعريف النفاق اصطلاحا.

المبحث الأول

النفاق لغة

قال ابن فارس: (نَفَقَ) النُّونُ وَالْفَاءُ وَالْقَافُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى انْقِطَاعِ شَيْءٍ وَذَهَابِهِ، وَالْآخَرُ عَلَى إِخْفَاءِ شَيْءٍ وَإِغْمَاضِهِ، وَمَتَى حُصِّلَ الْكَلَامُ فِيهِمَا تَقَارَبَا، فَالْأَوَّلُ: نَفَقَتِ الدَّابَّةُ نُفُوقًا: مَاتَتْ، وَنَفَقَ السِّعْرُ نَفَاقًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَمْضِي فَلَا يَكْسُدُ وَلَا يَقِفُ. وَأَنْفَقُوا: نَفَقَتْ سُوقُهُمْ. وَالنَّفَقَةُ لِأَنَّهَا تَمْضِي لِوَجْهِهَا. وَنَفَقَ الشَّيْءُ: فَنِيَ. يُقَالُ قَدْ نَفِقَتْ نَفَقَةُ الْقَوْمِ، وَأَنْفَقَ الرَّجُلُ: افْتَقَرَ، أَيْ ذَهَبَ مَا عِنْدَهُ .....وَالْأَصْلُ الْآخَرُ النَّفَقُ: سَرَبٌ فِي الْأَرْضِ لَهُ مَخْلَصٌ إِلَى مَكَانٍ. وَالنَّافِقَاءُ: مَوْضِعٌ يُرَقِّقُهُ الْيَرْبُوعُ مِنْ جُحْرِهِ فَإِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ الْقَاصِعَاءِ ضَرَبَ النَّافِقَاءَ بِرَأْسِهِ فَانْتَفَقَ، أَيْ خَرَجَ. وَمِنْهُ اشْتِقَاقُ النِّفَاقِ، لِأَنَّ صَاحِبَهُ يَكْتُمُ خِلَافَ مَا يُظْهِرُ، فَكَأَنَّ الْإِيمَانَ يَخْرُجُ مِنْهُ، أَوْ يَخْرُجُ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ فِي خَفَاءٍ. وَيُمْكِنُ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْبَابِ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْخُرُوجُ. وَالنَّفَقُ: الْمَسْلَكُ النَّافِذُ الَّذِي يُمْكِنُ الْخُرُوجُ مِنْهُ"[1].

وقدم استخدم العرب لفظ (نَفَقَ) ليدل على عدة معان:

1. الموت أو الفناء أو الهلاك: نَفَقَتِ الدابة تنفُقُ نُفوقاً أي ماتت[2]، ونفق الدرهمُ ينْفق نفوقاً: إذا فنِيَ[3].
2. رواج السلعة وارتفاع سعرها: ونَفَقَ الْبَيْعُ نَفَاقاً: رَاجَ. ونَفَقت السِّلْعة تَنْفُق نَفاقاً، بِالْفَتْحِ: غَلَتْ وَرُغِبَ فِيهَا، وأَنْفَقَها هُوَ ونَفَّقها[4].

---

[1] . ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت: 395هـ)، **مقاييس اللغة**، دار الفكر 399 هـ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، 454/5).

[2] الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)، **العين**، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، 177/5.

[3] أبو منصور الأزهري، محمد بن أحمد الأزهري الهروي 370هـ، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط1 / 2001، 155/9.

[4]ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط1414/3هـ، (357/10).

3. السرب في الأرض أو الجحر الذي له مخلص إلى مكان، وفى المثل:" ضَلَّ دُرَيْصٌ نَفَقَهُ"[1]أي جُحْره. والنافقاء: إحدى جِحَرَةِ اليربوع، يكتُمها ويُظهر غيرها، وهو موضع يرققه، فإذا أُتِيَ من قِبَلِ القاصِعاءِ[2] ضربَ النافِقاءَ برأسه فانْتَفَقَ[3].

قال ابن منظور:" نفق اليربوع تنفيقا، ونافق أي دخل في نافقائه، ومنه اشتقاق المنافق في الدين والنفاق، بالكسر، فعل المنافق، والنفاق: الدخول في الإسلام من وجه والخروج منه من آخر، مشتق من نافقاء اليربوع ، وقد نافق منافقة ونفاقا، وقد تكرر في الحديث ذكر النفاق، وما تصرف منه اسما وفعلا، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه وإن كان أصله في اللغة معروفا. يقال: نافق ينافق منافقة ونفاقا"[4]

فالمراد ما يشبه فعل اليربوع في بناء بيته على عدة جحور، ولذلك سمي المنافق "منافقا لما كان ظاهره غير ما يضمر تشبيها باليربوع، وذلك أنه يخرق الأرض حتى إذا كاد يبلغ ظاهر الأرض أرقَّ التراب، فإذا رابه ذئب رفع ذلك التراب برأسه فخرج، فظاهر جحره تراب كالأرض وباطنه حفر"[5].

بعد هذا العرض لتعريف النفاق عند علماء اللغة والمعاجم وبيان مفهومه، يتبين أنه: يدل على عدة معانٍ، منها: انقطاع شيء وذهابه (الموت والهلاك والفناء ورواج للسلع)، ويدل أيضا على إخفاء شيء وإغماضه (فعل اليربوع في جحره)، فلا يمكن قصره على معنى بعينه، بل تتعلق

---

[1] "يضْرب مثلا للرجل يلتبس عَلَيْهِ القَوْل وتعتاص الْحجَّة عَلَيْهِ، بعد أَن كَانَ قد هيأها فنسي وخلط، والدريص تصْغِير درص وَهُوَ ولد الْفَأْرَة وَهُوَ إِذا خرج من جُحْره لم يهتد إِلَيْهِ". أبو هلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: 395هـ)، **جمهرة الأمثال**، دار الفكر، بيروت، (7/2).

[2] القاصعاء والنافقاء: "وهما جُحران من جِحَرة اليَربوع، فالقاصِعاء: مَا قَصَعَ فِيهِ، أَي دَخَلَ فِيهِ، والنافِقاء: مَا خرج مِنْهُ.
أنظر: أبو بكر الأزدي، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: 321هـ)، **جمهرة اللغة**، دار العلم للملايين، بيروت، ط1/1987م، تحقيق: رمزي منير بعلبكي،(1229/3).

[3] الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، دار العلم للملايين، بيروت، ط4-1407هـ، (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،(4/ 1560).

[4] ابن منظور، **لسان العرب**،(359/10).

[5] أبو عبد الله بن أبي نصر، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي (ت: 488هـ)، **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم**، مكتبة السنة – القاهرة، ط1/1415هـ، تحقيق: د. زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، (425/1).

دلالته تعلقا كبيرا بالسياق الذي يستعمل فيه، وعلى هذا الأمر اشتهر التعريف القائل: بأنه إظهار للإيمان وستر للكفر.

المبحث الثاني

تعريف النفاق اصطلاحاً

المطلب الأول: دلالة مصطلح النفاق في آيات القرآن الكريم

ورد لفظ النفاق في القرآن الكريم، ليدل على فئة اتّصفت بمجموعة من الصفات، بيّنها القرآن الكريم، في مواضع عديدة من الآيات والسور، وهذه الفئة بهذه الصفات لم تكن موجودة قبل الإسلام، فمصطلح النفاق: هو مصطلح إسلامي، لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفا[1]، قال الجرجاني:"النفاق إظهار الإيمان باللسان، وكتمان الكفر بالقلب"[2].

والصفة المميزة التي ذكرها القرآن الكريم لتدل على أهل النفاق، ولتكون علامة مميزة لهم، هي أنهم يظهرون الإيمان، وهم ليسوا مؤمنين على الحقيقة (يبطنون الكفر)، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨ ﴾ [البقرة: ٨]، والآية الكريمة ذكرها الله سبحانه وتعالى في بدايات سورة البقرة، كمقدمة للحديث عن صفات المنافقين، وسيأتي بيانها في الصفحات القادمة.

ومصطلح النفاق بهذا الإطلاق، أخص من المعنى اللغوي، فقد أظهر القرآن الكريم صورة المنافقين بطريقة جلية، تدل على خبث نواياهم وسوء أفعالهم، وذلك بإظهار خلاف ما يبطنون.

---

[1] انظر: ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت: 606هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المكتبة العلمية – بيروت، ط/1–1399هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، (98/5).

[2] الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816هـ)، **كتاب التعريفات**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/1–1403هـ، (245/1).

فأصل النفاق أن تختلف نوايا المنافق وخباياه عن ظاهره وعلانيته؛ فقد وصف الله سبحانه وتعالى أعمالهم وأفعالهم بالكذب؛ قَالَ تَعَالَى:﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ [المنافقون:1].

وأزال الله سبحانه وتعالى وصف الإيمان عنهم، فقال تعالى: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة:10].

والنفاق في الشرع ينقسم إلى قسمين:

النوع الأول: "النفاق الاعتقادي، وهو النفاق الأكبر الذي يظهر صاحبه الإسلام ويبطن الكفر، وهذا النوع مخرج من الدين بالكلية، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، وقد وصف الله أهله بصفات الشر كلها: من الكفر وعدم الإيمان، والاستهزاء بالدين وأهله، والسخرية منهم، والميل بالكلية إلى أعداء الدين، لمشاركتهم في عداوة الإسلام، وهؤلاء موجودون في كل زمان ومكان، ولا سيما عندما تظهر قوة الإسلام، ولا يستطيعون مقاومته في الظاهر، فيظهرون الدخول فيه لأجل الكيد له ولأهله في الباطن، ولأجل أن يعيشوا مع المسلمين ويأمنوا على دمائهم وأموالهم"[1]، قال تعالى:﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴾[النساء: 145]

والثاني: النفاق الأصغر، أو النفاق العملي: وهو ترك المحافظة على أمور الدين سرا، ومراعاتها علنا، فيشبه في هذا النفاق الأكبر، إذ فيه مخالفة القول للواقع ولكنه ليس في الاعتقاد؛ ولذلك لا يتنافى مع أصل التوحيد والإيمان، ولا يخرج صاحبه عن الدين، وإن كان يستحق الوعيد كسائر المعاصي[2]، وقد نبه النبي –صلى الله عليه وسلم– على هذا النوع في أحاديث كثيرة، كقوله عليه الصلاة والسلام: ""أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه

---

[1] الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، **كتاب التوحيد**، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط4–1423هـ، 25/1).

[2] عثمان ضميرية، د عثمان جمعة ضميرية، **مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية**، (تقديم: الدكتور عبد الله بن عبد الكريم العبادي، مكتبة السوادي للتوزيع، ط2–1417هـ، (345/1).

خصلة من النفاق حتى يَدَعَها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"[1]

ذكر القرآن الكريم المنافقين في مواضع كثيرة، دلت على صفاتهم وأساليبهم ومواطن خبثهم في المجتمع المسلم، وهذه الصفات تميزهم وتدل عليهم؛ وركز القرآن الكريم على النفاق الإعتقادي، الذي يخرج صاحبه من الإسلام بالكلية، مثل: الكفر بالله، وموالاة أعداء الله، والاستهزاء بالله، وآياته ورسله؛ وتوعد الله سبحانه وتعالى هذه الأصناف بالعذاب الأليم يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [النساء: ١٤٥]

المطلب الثاني: مصطلح النفاق في الحديث النبوي

ورد النفاق في عدد كبير من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وبينت هذه الأحاديث مجموعة من الصفات التي تميزت بها هذه الفئة من الناس؛ وطغت على أفعالهم، في العهد النبوي، فعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" أربع من كن فيه كان منافقا، أو كانت فيه خَصْلة من أربعة كانت فيه خصلة من النفاق؛ حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"[2].

قال ابن حجر _رحمه الله_ :" وجه الاقتصار على هذه العلامات الثلاث (الحديث، الوعد، العهد) أنها منبهة على ما عداها، إذ أصل الديانة منحصر في ثلاث؛ القول والفعل والنية، فنبه على فساد القول بالكذب، وعلى فساد الفعل بالخيانة، وعلى فساد النية بالخلف، والرابعة إذا خاصم فجر: يعني بالفجور: "أن يَخرج عن الحق عمدا، حتى يُصَيِّرَ الحق باطلا والباطل حقا، وهذا مما

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المظالم والغصب، إذا خاصم فجر، رقم الحديث 2459،(131/3).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المظالم والغصب، إذا خاصم فجر، رقم الحديث 2459، (131/3).

يدعو إليه الكذب"[1]، قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار "[2].

مما سبق عرضه، نلحظ أن السنة النبوية ركزت على النفاق العملي المتمثل في الكذب والخيانة وفساد النوايا والفجور، وهذا القسم الأول من النفاق، ويطلق عليه النفاق العملي: " وهو عمل شيء من أعمال المنافقين مع بقاء الإيمان في القلب، وهذا لا يخرج من الملة، لكنه وسيلة إلى ذلك، وصاحبه يكون فيه إيمان ونفاق، وإذا كثر صار بسببه منافقا خالصًا"[3].

أما القرآن فقد ركز على المحور الإعتقادي فيه؛ وذلك لخطورته على الأمة الإسلامية، ودوره في إرباك المجتمع، وتشتيت الشمل، وتفريق الجمع، ووصف القرآن الكريم المنافقين بأشد الأوصاف، التي تنفر من اتّباعهم، والسير على خطاهم.

ومما نلحظه أيضا، أن النفاق بشقيه الإعتقادي والعملي يقوم على أساس واحد، هو إظهار الإيمان بالفعل واللسان، مع المخالفة لذلك في القلب والوجدان، ولقد أوجز رسول صلى الله عليه وسلم حقيقة المنافق، كما في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه– حيث قال: "تجد من شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه"[4]، قال القرطبي: "إنما كان ذو الوجهين شر الناس لأن حاله حال المنافق، إذ هو متملق بالباطل وبالكذب، مدخل للفساد بين الناس"[5].

---

[1] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة – بيروت، 1379هـ، رقمه: محمد فؤاد عبد الباقي، (90/1).

[2] البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع **المسند الصحيح المخ(تصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، دار طوق النجاة، ط1و1422هـ، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} [التوبة: 119] وما ينهى عن الكذب، رقم الحديث6094، (25/8).

[3] . الفوزان، **كتاب التوحيد**، (27/1)

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب ما قيل في ذي الوجهين، رقم الحديث6058، (18/8).

[5] المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت: 1353هـ)، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، دار الكتب العلمية – بيروت، (144/6).

وقال النووي: " إنه من شرار الناس، فسببه ظاهر، لأنه نفاق محض وكذب وخداع وتخُّيل على اطلاعه على أسرار الطائفتين، وهو الذي يأتي كل طائفة بما يرضيها، ويظهر لها أنه منها في خير أو شر، وهي مداهنة محرمة"[1].

[1] النووي، محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/2–1392هـ، (79/16).

الفصل الثاني

صفات المنافقين

المبحث الأول: مرض القلوب.

المبحث الثاني: موالاة الكافرين.

المبحث الثالث: خذلانهم للمؤمنين في الشدائد والفرح بمصائبهم.

المبحث الرابع: الإفساد في الأرض.

المبحث الخامس: الظن السيء بالله تعالى.

المبحث الأول

مرض القلوب

بدأ القرآن الكريم الحديث عن صفات المنافقين وبيان خطورتها على المجتمع في أوائل آيات سورة البقرة، قَالَ تَعَالَى:﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠﴾ [البقرة: 10]، "فمرض القلب هو نوع من الفساد يحصل له، يفسد به تصوره وإرادته، فتصوره بالشبهات التي تعرض له، حتى لا يرى الحق، أو يراه على خلاف ما هو عليه، وإرادته بحيث يبغض الحق النافع ويحب الباطل الضار، فلهذا يفسر المرض تارة بالشك والريب"[1].

منذ دخول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة، والتفاف الناس حوله، واستلامه مقادير الأمور بيده، وخروج الأمر من يد أصحاب النفوذ من اليهود والمنافقين، بُدِئَ التفكير في كيفية الكيد للإسلام والطعن فيه، لتعود الأمور إلى ما كانت عليه، من السيادة والسيطرة.

لجأ المنافقون إلى إعلان إسلامهم وإخفاء كفرهم، لضمان مصالحهم ، فكانت قلوبهم المريضة تتفطر حقدا على النبي صلى الله عليه وسلم، وألسنتهم تلهج بحب النبي صلوات الله وسلامه عليه، ومما يدلل على ذلك ما سمعه أسامة بن زيد _رضي الله عنه_ من عبد الله بن أُبي بن سلول، عندما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم« أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقا فلا تؤذنا به في مجلسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله، فاغشنا به في مجالسنا، فإنا نحب ذلك، فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود، حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكنوا »[2] .

---

[1] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ)، **أمراض القلب وشفاؤها**، المطبعة السلفية – القاهرة،ط2– 1399هـ، (4/1)

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المرضى، باب عيادة المريض، راكبا وماشيا، وردفا على الحمار، رقم الحديث5663، (118/7)

إن أسلوب كلام عبد الله بن أُبي بن سلول من بدايته عندما قال:" أيها المرء"، ليدل دلالة واضحة على عدم احترام الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وعدم الاكتراث به وبما يقول، وقد علق سعد بن عبادة _رضي الله عنه_ على هذ الموقف: «اعف عنه واصفح، فلقد أعطاك الله ما أعطاك، ولقد اجتمع أهل هذه البحرة على أن يتوجوه فيعصبوه، فلما رد ذلك بالحق الذي أعطاك شرق بذلك، فذلك الذي فعل به ما رأيت»[1]. «وكان عبد بن أبي بن سلول سيدا في الخزرج مطاعا عظيم الشأن، وكان متقدما في الأوس والخزرج جميعا، وكان سعد بن عبادة يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: اصبر عليه يا رسول الله واحتمله، فو الله لقد نظمنا خرزات تاجه، لنسوّده، حتى جاءنا الله بك، وكان معه على النفاق جماعة من الأوس والخزرج، يؤملونه ويرجون أن تكون الرئاسة له»[2].

كان الحسد يملأ قلوب المنافقين على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أحسن ابن القيم، إذ قال فيهم:" قد أنهكت أمراض الشبهاتِ والشهواتِ قلوبَهم فأهلكتْها، وغلَبَتْ القصود السيئةُ على إرادتِهم ونياتهم فأفسدَتهْا، ففسادهم قد ترامى إلى الهلاك"[3]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة: 10].

إن المنافقين قد بلغت كراهيتهم للمسلمين ذروتها، فأصبحوا لا يميزون الصواب من الخطأ، ويظهر ذلك جليا في قول عبد الله بن أبي بن سلول: «فعلوها؟[4]، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبيَ صلى الله عليه وسلم، فقام عمر فقال: يا رسول الله، دعني

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المرضى، باب عيادة المريض، راكبا وماشيا، وردفا على الحمار، رقم الحديث5663، (118/7).

[2] أبو الحسين المعتزلي، القاضى عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، أبو الحسين المعتزلي (ت: 415هـ)، **تثبيت دلائل النبوة**، دار المصطفى – شبرا– القاهرة، (459/2).

[3] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، **صفات المنافقين**، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، عام1410هـ، (7/1).

[4] " كسع رجل من المهاجرين، رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما بال دعوى الجاهلية »". والكسع: ضربُ يدٍ أو رجلٍ على دبر شيءٍ. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن (تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)، **العين**، دار ومكتبة الهلال، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (192/1).

أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» "[1].

كشف عبد الله بن أبي بن سلول حقيقته، عندما قال (فعلوها؟)، فكان ينتهز الفرصة من أجل إيقاع الفرقة والتشرذم بين المسلمين، ولولا عناية الله ووجود النبي صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم، لحصل ما لا تحمد عقباه، وقوله الخبيث (لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ) ، ليدل دلالة واضحة على خبثه ومرض قلبه.

وقد تظهر أعراض مرض القلوب لدى المنافقين حتى يلاحظها الناس، ومن ذلك ما فعله رجل من تميم مع النبي صلى الله عليه وسلم، في الحادثة التي يذكرها أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما، أتاه ذو الخويصرة[2]، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: «ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل». فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال: «دعه، فإنّ له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[3].

وهذا رجل آخر[4] منهم، آذى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله، حيث أظهر يوم حنين ما في قلبه، فقال «ما أُريد بهذه القسمة وجه الله، فقال عبد الله بن مسعود: لأخبرنّ النبي صلى الله عليه وسلم، قال: رحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر»"[5] ، لم يكن رسول الله يفعل هذا

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ}، رقم الحديث4905، (145/6).

[2] حرقوص العنبري:له إدراك(رؤية النبي صلى الله عليه وسلم)، وشهد فتح تستر مع أبي موسى الأشعريّ، وهو غير حرقوص بن زهير السعديّ.[وجزم ابن أبي داود بعد تخريج قصته بأنه ذو الثديّة، وقد قيل في ذي الثديّة إنه ذو الخويصرة، وقيل في ذي الخويصرة إنه حرقوص. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/1-1415هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، (145/2)

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث3610، (200/4)

[4] في رواية الأعمش فقال رجل من الأنصار وفي رواية الواقدي أنه معتب بن قشير من بني عمرو بن عوف وكان من المنافقين.ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (56/8)

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، رقم الحديث4336، (159/5)

لهوى في نفسه، فحاشاه من ذلك، وإنما الأمر كما قال: "إني أعطي قوما أخاف ظَلَعَهُم[1] وجزعهم، وأَكِلُ قوماَ إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى"[2].

لم يكتف المنافقون بحقدهم وكراهيتهم للإسلام والمسلمين، وسوء أدبهم مع النبي صلى الله عليه وسلم، بل خاضوا واستهزؤوا بآيات الله ورسوله وشريعته، وإذا سُئلوا: لمَ فعلتم ذلك؟ قالوا كنا نخوض ونلعب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [التوبة: ٦٥ – 66] . فقد بينت الآيات الكريمة حجم حقدهم ومرض قلوبهم، الذي كان مدعاة لهم، للاستهزاء والسخرية من آيات الله ومن رسوله، وقد حذر الله المؤمنين من الاقتراب من مجالسهم، فقال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ [النساء: 140].

ونرى منافقي المدينة في حادثة آلافك عندما شاهدوا صفوان بن المعطل _رضي الله عنه_ مع أمّ المؤمنين عائشة _رضي الله عنها_، بدأوا بقذف سمومهم الخبيثة في حق بيت النبوة، لما له من عظيم الأثر في نفوس المؤمنين، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَ اللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي"[3].

يقول ابن القيم – رحمه الله– : "إن الْقلب يَعْتَرِضهُ مرضان، يتواردان عليه، إذا استحكما فيه كانَ هلاكه وموته، وهما مرض الشهوات ومرض الشبهات، هذان أصل دَاء الْخلق إلا من عافاه الله، وَقد ذكر الله تعالى هذَيْن المرضين فِي كِتَابه، أما مرض الشبهات وهو أصعبهما وأقتلهما

---

[1] . ظَلَعَهُم: أي ميلهم عن الحق وضعف إيمانهم، انظر **لسان العرب** لابن منظور(244/8)

[2]البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، رقم الحديث3145، (93/4)

[3]البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا، رقم الحديث2621، (173/3).

للقلب ففي قوْله فِي حق المنافقين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة:10] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴿٣١﴾ ﴾ [المدثر: ٣١] وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الحج: ٥٣]

فهذه ثلاثة مواضع، المراد بمرض القلب فيها مرض الجهل والشبهة.

وأما مرض الشهوة ففي قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ۚ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، قال ابن قيم الجوزية: "أي لا تُلن في الكلام فيطمع الذي في قلبه فجور، فإن ذلك أبعد من الريبة والطمع فيها..... وللقلب أمراض أخرى، من الرياء والكبر والعجب والحسد والفخر والخُيلاء وحب الرياسة والعلو في الأرض، وهذا مرض مركب من مرض الشبهة والشهوة، فإنه لا بد فيه من تخيل فاسد وإرادة باطلة؛ كالعجب والفخر والخيلاء والكبر المركب من تخيل عظمته وفضله وإرادة تعظيم الخلق له ومحمدتهم، فلا يخرج مرضه عن شهوة أو شبهة أو مركب منهما، وهذه الأمراض كلها متولدة عن الجهل ودواؤها العلم"[1].

والقرآن ذكر الذين في قلوبهم مرض مع المنافقين ثلاث مرات، في المواضع الآتية:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ الأنفال: ٤٩

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ الأحزاب: ١٢

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ ﴾ الأحزاب: ٦٠

---

[1] ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، **مف(تاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، دار الكتب العلمية – بيروت، (1/110-111).

وذكر الذين في قلوبهم مرض مع الكافرين في قوله تعالى:﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ٣١﴾ المدثر: ٣١

وحسم القرآن الكريم حال مرضى القلوب بأن عاقبتهم مع الكافرين، قَالَ تعالى:﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ١٢٥﴾ التوبة: ١٢٥

المبحث الثاني

موالاة الكافرين

الحب في الله والبغض في الله من عقيدة المؤمن، التي تميزه عن المنافق، المنافق الذي تتعلق آماله بالقوة المادية الظاهرة ولا يتعلق بخالقه، ولا يتورّع عن أي فعل يحقق له أهدافه، بغض النظر عن الوسيلة، فالمنافقون يظهرون التزامهم بالدين وولاءهم للمسلمين، ويحلفون على ذلك من أجل إثبات أنهم مسلمون، والواقع يشهد بخلاف ذلك؛ فهُم يسعون بكل وسيلة إلى التآمر مع أعداء الأمة، بغية إضعافها وكسر شوكتها، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝١٣٩﴾ [النساء: ١٣٨ – 139]، بينت الآيتان الكريمتان عقوبة الذين يتخذون أعداء الله _سبحانه وتعالى_ بطانة من دون المؤمنين، وبينت أيضا سوء ظنهم بالله وسوء تقديرهم لمصدر القوة والعزة. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «المدينة حرام ما بين عائر إلى كذا، فمن أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه عدل ولا صرف، وذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلما، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل، ومن والى قوما بغير إذن مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل»[1]

وقد وصف الله المنافقين بأنهم إخوة لليهود في واقعة بني النضير، فقد تعهد المنافقون بتقديم أسباب النصرة والتمكين لليهود في المدينة، من أجل البقاء في حصونهم ووعدوهم بتقديم الدعم العسكري لهم، في حالة حصول المواجهة مع المسلمين؛ ولكن سرعان ما خذل الأخوة بعضهم بعضا، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝١١﴾ [الحشر:11].

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجزية، رقم الحديث3180، (103/4)

ونورد هنا بعضاً من صور موالاة المنافقين للكافرين:

الصورة الأولى: المحبة والمودة للكافرين:

المنافقون يسيرون على خطى من يتوددون إليهم، من أعداء الأمة بالليل والنهار، ويحاولون إرضاءهم بشتى الوسائل من أجل التقرب إليهم لنيل رضاهم، قَالَ تَعَالَى:﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢ [المائدة: ٥٢]

فلا يمكن أن يرى الإنسان جماعة يصدّقون بالله وباليوم الآخر، يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، لأن مَن أحبَّ الله عادى أعداءه، ولا يجتمع في قلبٍ واحدٍ حب الله وحب أعدائه، كما لا يجتمع النور والظلام، أما المنافقون فعلى العكس من ذلك، وهذا بيّن في قصة " بني قينقاع "، فهم أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهود، فحاصرهم رسول الله حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول ، فقال: يا محمد أحسن في موالي! فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: أرسلني. وغضب رسول الله حتى رأوا لوجهه ظلالا، ثم قال: ويحك أرسلني، قال: لا، والله لا أرسلك حتى تُحسِن في مواليَّ: أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة! إنّي والله امرؤ أخشى الدوائر".[1]

وفعل أسماء بنت أبي بكر مع أمها لا يدخل من باب المودة والولاء للكافرين بل من باب الصلة والإحسان إلى الوالدين، فتقول أسماء رضي الله عنها: "قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد قريش، إذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم مع أبيها، فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله إن أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصلها؟ قال: «نعم صليها"[2].

---

[1] الغضبان، منير محمد الغضبان (ت: 1435هـ)، **المنهج الحركي للسيرة النبوية**، مكتبة المنار – الأردن، ط/6-1411هـ، (249/2).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجزية، رقم الحديث، 3183، (103/4)

الصورة الثانية: اتخاذ الكافرين بطانة وإعانتهم على المؤمنين:

يجب أن يكون المستشار أمينا وصادقا في نقل الأحداث والنصح بحلها، ولا يكون على غير دين الإسلام؛ لأن المستشار غير المسلم لن يبذل جهده من أجل نهضة هذا الدين، ورفعة الوطن، بل سيكون عونا لغيرنا على أمتنا، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾ آل عمران: ١١٨ – ١٢٠ ، بينت الآيات الكريمة للمؤمنين خطأهم في محبتهم، فأنتم تحبونهم وتحسنون إليهم، وهم لا يحبونكم، ويحملون لكم العداوة والبغضاء، وأنتم تؤمنون بالكتب المنزلة كلها ومنها كتابهم، وهم لا يؤمنون بكتابكم، فكيف تحبونهم؟ وإذا لقوكم قالوا نفاقًا: آمنَّا وصدَّقْنا، وإذا خلا بعضهم إلى بعض بدا عليهم الغم والحزن، فعَضُّوا أطراف أصابعهم من شدة الغضب، لما يرون من ألفة المسلمين واجتماع كلمتهم، وإعزاز الإسلام، وإذلالهم به. قل لهم أيها الرسول: موتوا بشدة غضبكم. إن الله مطَّلِع على ما تُخفي الصدور، وسيجازي كلا على ما قدَّم مِن خير أو شر "[1].

حرم الإسلام اتخاذ الكافرين بطانة من دون المؤمنين، أو حتى الاستعانة بهم لقتال الأعداء، وذكرت عائشة رضي الله عنها في هذا السياق: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بدر، فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة، ففرح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه، فلما أدركه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: جئت لأتبعك وأصيب معك، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تؤمن بالله ورسوله؟» قال: لا، قال: «فارجع، فلن أستعين بمشرك»، قالت: ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل، فقال له كما قال أول مرة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كما قال أول مرة، قال: «فارجع، فلن أستعين

[1] . نخبة من أساتذة التفسير، **التفسير الميسر**، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، ط2– 1430هـ، (65/1)

بمشرك»، قال: ثم رجع فأدركه بالبيداء، فقال له كما قال أول مرة: «تؤمن بالله ورسوله؟» قال: نعم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فانطلق»[1]

ومن باب أولى عدم إعانتهم على المسلمين في القتال، يقول احمد شاكر في هذا المقام كلمة حق: "أما التعاون مع الإنجليز بأي نوع من أنواع التعاون، قلّ أو كثر، فهو الردّة الجامحة، والكفر الصّراح، لا يقبل فيه اعتذار، ولا ينفع معه تأول، ولا ينجي من حكمه عصبية حمقاء، ولا سياسة خرقاء، ولا مجاملة هي النفاق، سواء أكان ذلك من أفراد أو حكومات أو زعماء. كلهم في الكفر والردة سواء، إلا من جهل وأخطأ، ثم استدرك أمره، فتاب وأخذ سبيل المؤمنين، فأولئك عسى الله أن يتوب عليهم، إن أخلصوا من قلوبهم لله لا للسّياسة ولا للناس، واستطاع الشيخ أحمد شاكر الإبانة عن حكم قتال الإنجليز، وعن حكم التعاون معهم، بأي لون من ألوان التعاون أو المعاملة، حتى يستطيع أن يفقهه كل مسلم يقرأ العربية، من أي طبقات الناس كان، وفي أي بقعة من الأرض يكون"[2].

المنافقون يسعون إلى شق الصفوف ونشر الفتنة بين المسلمين، حتى ولو خرجوا للجهاد في سبيل الله، فهم بمثابة العيون في نقل الأخبار للأعداء، من أجل تثبيط معنويات المسلمين، والله مطلع على أفعالهم وسيجازيهم على فعلهم، قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٧]

الركيزة التي يعتمد عليها المنافق لبسط نفوذه وتدعيم قوته هي القوة المادية، لاعتقاده بأن هذه القوة الظاهرة قادرة على توفير الحماية له، وفي حالة تمكن أعداء الله من رقاب المسلمين تزداد قناعته بالأعداء، ويصبح يدهم اليمنى على المسلمين، وما قولُ عبد الله بن أبي بن سلول في حادثة بني قينقاع: "إني والله امرؤ أخشى الدوائر" إلا من هذا الأمر.

---

[1] .مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد واليسر، باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر، رقم الحديث(1817)، (1449/3)

[2] . الشيخ احمد شاكر، أحمد محمد شاكر، **كلمة حق**، مكتبة السنة، 1408هـ، (130/1-131)

المبحث الثالث

خذلانهم للمؤمنين في الشدائد والفرح بمصائبهم

منذ دخول الإسلام إلى المدينة المنورة، والمنافقون يتمنون زوال الإسلام وأهله، ويبذلون الغالي والنفيس، ويمكرون ويخدعون ويكيدون كيداً من أجل تحقيق هذا الهدف، نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن خذلان المؤمنين وترك نصرتهم فقال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»[1] وفي رواية مسلم قال علية السلام "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره التقوى هاهنا"[2]

قال ابن حجر:"وقوله ولا يسلمه أي لا يتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه بل ينصره ويدفع عنه وهذا أخص من ترك الظلم"[3]، وقال النووي:" الخذل ترك الإعانة والنصر ومعناه إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه ولم يكن له عذر شرعي"[4]

فكانوا كما قال الله سبحانه فيهم: قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾ [النساء: ١٤١].

ولما كان يوم أحد انسحب عبد الله بن أبي سلول بثلث الجيش، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، بحجة عدم القتال، ولكن النية المبيتة هي إضعاف روح

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإكراه، رقم الحديث6951، (22/9)

[2] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله، رقم الحديث2564،(1986/4)

[3] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (97/5)

[4] النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (120/16)

الجيش المعنوية والقتالية في بداية المعركة، والقضاء على المسلمين، ولتتحقق غايته في زعامة المدينة، يقول ابن إسحاق في ذلك: "حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد، انخذل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس، فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام، أخو بني سلمة، يقول: يا قوم، أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم، ونبيكم عندما حضر من عدوهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم، ولكنا لا نرى أنه يكون قتال. قال: فلما استعصوا عليه، وأبوا إلا الانصراف عنهم، قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيه"[1].

قال الغضبان: "ولا نبالغ إذا قلنا: إن قمة تجمع المنافقين وخطره برز يوم أحد، لكننا نؤكد في الوقت ذاته أنه قد افتضح أمره، وبرز المنافقون بأشخاصهم وأعيانهم، حيث يعلن القرآن أنهم أقرب للكفر منهم للإيمان، وبذلك تمت المفاصلة بينهم وبين المؤمنين. وغدت الجماعة المسلمة تنظر إليهم بعين الحذر والكراهية، وأصبح المسلم يكف عن بث أسراره لأخيه من أبيه وأمه إن كان ممن وصم بالنفاق".[2]

ومن أبرز ما عبّر به المنافقون عن مواقفهم المتخاذلة ما كان في غزوة الخندق، حيث النكوص عن المشاركة في حفر الخندق، وقلّة انضباطهم في صفّ المسلمين، وكثرة تردّدهم على بيوتهم بهدف تفتيت الصف، ونشر التخاذل بين المجاهدين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ١٨ ﴾ [الأحزاب: ١٨] وقال تعالى:﴿"وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ١٣ ﴾ [الأحزاب: ١٣].

وأخذوا يتندّرون بأحاديث الفتح ويَسخرون منها، ومن جملة ما قال معتب بن قشير، والحارث بن الحاطب:" كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن أن يذهب

---

[1] ابن اسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت: 151هـ)، **كتاب السير والمغازي**، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، ط1–1398هـ، (324/1).

[2] الغضبان، منير محمد الغضبان (ت: 1435هـ)، **فقه السيرة النبوية**، جامعة أم القرى، ط/2–1413هـ، (607/1).

إلى الغائط"[1]، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٢].

وكما كان حال المنافقين في غزوتي أحد والخندق كان حالهم في غزوة تبوك، حيث إنهم استغلوا فرصة الحر الشديد من أجل تثبيط المسلمين، وعدم خروجهم للمعركة من أجل التملص من السير في الحر الشديد، وقطع المسافات الطويلة ومواجهة الأعداء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ التوبة: ٨١

كان من عادة النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزم أمراً، اعتمد على السريِّة والتمويه والمباغتة إلا في غزوة تبوك، حيث أعلن عن وجهته، وذلك لعدة أسباب، يقول كعب بن مالك _رضي الله عنه_:" حتى كانت غزوة تبوك، فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد، واستقبل سفرا بعيدا ومفازا، واستقبل غزو عدو كثير، فجلّى للمسلمين أمرهم، ليتأهبوا أهبة عدوهم، وأخبرهم بوجهه الذي يريد"[2].

لم يكتفِ المنافقون بالتخذيل والتثبيط، بل تراهم يفرحون بمصائب المؤمنين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٠]. يقول ابن القيم: "إن أصاب أهل الكتاب والسنّة عافية ونصر وظهور، ساءهم ذلك وغمهم، وإن أصابهم ابتلاء من الله، وامتحان يمحّص به ذنوبهم ويكفر به عنهم سيئاتهم أفرحهم ذلك وسرّهم، وهذا يحقق إرثهم وإرث من عداهم، ولا يستوي من موروثه الرسول، ومن موروثهم المنافقون"[3].

---

[1] . ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: 213هـ)، **السيرة النبوية لابن هشام**، لمحقق: طه عبد الرءوف سعد، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة،(121/2)

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب من أراد غزوة فورى بغيرها، ومن أحب الخروج يوم الخميس، رقم الحديث2948، (48/4).

[3] ابن قيم الجوزية، **صفات المنافقين**، (15/1).

ومن أبرز المواقف التي يتجلى فيها فرح المنافقين بمصائب المؤمنين، ما ظهر في موقفهم من إشاعة الفاحشة في حادثة الإفك، فقد فرح المنافقون بخبر شيوع خبر الإفك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور: ١٩] وكما ظهر جليا فرحهم، في شماتتهم بالمؤمنين في غزوة أحد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

مهما حاول المنافق أن يخفي باطنه السيء، فإنه لا يستطيع، إذ تأتي المواقف والمحن الصعبة لتضعه في المكان الذي يستحقه.

التخذيل عن الحق والفرح بمصائب المسلمين ليست من الأخوة الإيمانية التي يدعيها المنافق في شيء، ومن هذا يتبين عظم خطورة ظاهرة النفاق، فالمنافق ميدان عمله لا يتسع إلا في أحلك الظروف، فعندما تكون الأمة في أمس الحاجة لمن ينصرها، يكون المنافق في أوج نشاطه، لإحلال الهزيمة والمصيبة الكبرى بالمسلمين.

المبحث الرابع

الإفساد في الأرض

قبل الحديث عن فساد المنافقين، لابد من التفريق بين الفساد والإفساد، حتى يتبين المعنى المقصود من ذلك؛ ويتضح المدلول المنشود، (فالْفساد) التّلف والعطب وَالِاضْطِرَاب والخلل والجدب والقحط[1]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ الروم: ٤١

والحاق الضَّرَر[2] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ المائدة: ٣٣ وأما الإفساد: فهو جعل الشيء فاسداً خارجاً عما ينبغي أن يكون عليه وعن كونه منتفعا به، وفي الحقيقة هو إخراج الشيء عن حالة محمودة لا لغرض صحيح[3]، فالفرق بين المعنيين في المجمل من حيث المصدر اللغوي لهما، فالفساد مصدره فسد وهو فعل لازم، والإفساد مصدره أفسد وهو فعل متعدٍ.

الإفساد يعكر صفو المجتمع، ويخلق حالة من الاضطراب والفوضى داخل البنيان الواحد، فيتشتت الجمع وتثور النعرات بين المتخاصمين، ويؤدي إلى حالة من عدم التماسك، وهذا ما حاول المنافقون فعله في المدينة، فقد سعوا بكل وسيلة وحيلة وطريقة من أجل إنفاذ مخططاتهم الخبيثة، ولكنّ جهودهم فشلت، وذهبت هباء منثورا، بفضل الله أولا، ثم بفضل الحكمة النبوية ثانيا، ووجود العقلاء من أهل الحل والعقد.

---

[1] . مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، (688/2)

[2] المعجم الوسيط،(688/2).

[3] . أيوب الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش –محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت،(154/1)

لقد أفسد المنافقون في المدينة إفسادا عظيما، ومن مظاهر إفسادهم:

1.العزوف عن التوبة استكبارا:

حدثنا القرآن الكريم عن المنافقين، وفسادهم في الأرض، ورفضهم للتوبة، وإذا قيل لهم: "أقبلوا تائبين معتذرين عمَّا بدر منكم من سيِّء القول وسفه الحديث، يستغفر لكم رسول الله، ويسأل الله لكم المغفرة والعفو عن ذنوبكم، أمالوا رؤوسهم وحركوها استهزاءً واستكبارًا، وهم مستكبرون عن الامتثال لما طُلِب إليهم".[1] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [المنافقون: ٥]

2.صد الناس عن الإنفاق في سبيل الله:

لمّا رأى المنافقون النفقة بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتفاف المسلمين حوله، ظنوا أنّ تركها سيؤدي إلى فرقة المسلمين، وتشتيت جمعهم، والانفضاض عنه، ولا يعلمون أن لله خزائن السماوات والأرض يعطيها لمن يشاء ويمنعها عمن يشاء، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [المنافقون: ٧]، وما رواية زيد بن الأرقم _رضي الله عنه_ التي سمعها من فم عبد الله بن أبي بن سلول إلا تأكيداً لحقيقة هؤلاء، المتمثلة في حبهم لتشتيت شمل المسلمين: « فسمعت عبد الله بن أبي، يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجَنّ الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي أو لعمر، فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم ، فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك؟: فبعث إلي النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ فقال: «إن الله قد صدقك يا زيد» »[2] فأنزل الله

---

[1] نخبة من أساتذة التفسير، **التفسير الميسر**، (555/1).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القران، بَابُ قَوْلِهِ: {إِذَا جَاءَكَ المُنَافِقُونَ قَالُوا: نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ}، رقم الحديث4900، (152/6).

تعالى:﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ﴾ [المنافقون: ١] .

3.التستر بالأعمال المشروعة للإضرار بالمسلمين:

من أعجب ما تمخضت عنه خطط المنافقين في مكرهم وحقدهم على الإسلام والمسلمين بالمدينة المنورة؛ أن يبنوا مسجدا يجتمعون فيه تحت غطاء العبادة، ورغبتهم في إصلاح الناس، وإرادة الخير لهم، وطلبوا من النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يصلي بهم فيه، فاعتذر النبي صلى الله عليه وسلم وأجّل ذلك إلى حين عودته من غزوة تبوك، وعند عودته صلى الله عليه وسلم نزلت عليه هذه الآيات من سورة التوبة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ ﴾ [التوبة: ١٠٧ – ١٠٨].

قال الطبري: "والذين ابتنوا مسجد الضرار لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما بنوه كفرًا بالله لمحادّتهم بذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وليفرّقوا به المؤمنين، ليصلي فيه بعضهم دون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعضهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيختلفوا بسبب ذلك ويفترقوا"[1].

4.إشعال نار الفتنة واستغلال الخلافات وتوسيعها:

يظهر أهل النفاق في الفتن والخلافات بين المسلمين، فهذا عبد الله بن أبي بن سلول كان له الدور الأكبر في الواقعة التي حصلت بين الأنصار والمهاجرين، فقال: "فَعَلُوهَا، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: دَعْهُ، لاَ يَتَحَدَّثُ

[1]انظر: الطبري، **جامع البيان في (تأويل القرآن**،(469/4)

النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ"[1]، فعبد الله بن أبي بن سلول إنما أراد تأجيج المشاعر بين الطرفين؛ بتذكيرهم بفعل الأنصار بإيواء المهاجرين ونصرتهم عندما قدموا المدينة؛ إثارة للفتنة بين الناس، قَالَ تَعَالَى:﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ المنافقون:٨

5.التحاكم إلى الطاغوت:

يخشى المنافقون التحاكم إلى الله ورسوله، ويحتكمون إلى أهوائهم؛ مع ادعائهم الإيمان بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، مع معرفتهم اليقينية بوجوب الكفر بالطاغوت أو التحاكم إليه، قَالَ تَعَالَى:﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ النساء: ٦٠، وقد أقسم الله أن إيمانهم لن يكتمل حتى يُحَكِموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما شجر بينهم من النزاع، ويرضوا بحكمه، قَالَ تَعَالَى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ النساء: 65

يقول الزبير: "والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك، أي عندما تحاكمت أنا والأنصاري على السقاية، فحكم النبي حكما كان ظاهره للزبير، والحكم فيه سعة للطرفين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك»، فقال الأنصاري: يا رسول الله، إن كان ابن عمتك، فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: «اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، ثم أرسل الماء إلى جارك»، واستوعى[2] النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري، وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة"[3].

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القران، بَابُ قَوْلِهِ: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ}، رقم الحديث4905، (145/6).

[2] . استوعى: استوعى فلان من فلان حقه إذا أخذه كله، استوفاه كله مأخوذ من الوعاء. أنظر: أبن منظور، **لسان العرب**، (396/15)

[3] . البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المساقاة، باب سكر الأنهار، رقم الحديث 2359،(111/3)

قال بدر الدين الحنفي: "ولقد أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن من أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم، في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له ظاهرا وباطنا"[1].

6.يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا:

من طبيعة النفس البشرية أنها تحب أن تحمد وتمدح، وتكره أن تعاب وتذم، وهذا أمر مفطور عليه، يرغبه الصغير، ولا يستغني عنه الكبير؛ ولذا كان التعزيز من محفزات العمل والإنجاز، ومن أسباب النجاح في الحياة، ولا غضاضة في ذلك؛ فقد أثنى الله تعالى في القرآن على الصحابة _ رضي الله عنهم_ فرادى وجماعات، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ التوبة: ١٠٠ وتنزل القرآن بالثناء عليهم وهم يقرأونه، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا منهم بأفعال فعلوها، أو صفات تخلقوها، ولكنه عليه الصلاة والسلام كان لا يقول إلا حقا.

وإنما المحذور والممنوع أن يثنى على قوم بما ليس فيهم، وأن يحمدوا بما لم يفعلوا، وأن يوصفوا بما لا يتصفون به، وتلك صفة من صفات المنافقين؛ يريدون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، وأن يشكروا ويثنى عليهم، كأنهم أهل لكل طاعة ومعروف يبذل في سبيل الله، وهذا حالهم بعد كل غزوة لم يشاركوا فيها، فقد جاء في الحديث «أَنَّ رِجَالًا مِنَ المُنَافِقِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الغَزْوِ تَخَلَّفُوا عَنْهُ، وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ، وَحَلَفُوا وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا»[2]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٨]

---

[1] بدر الدين الحنفي، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، 177/18).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، ك(تاب (تفسير القران، بَابُ لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَ(توْا)، رقم الحديث4567، 40/6).

قال بدر الدين العيني: "عُمُوم اللَّفْظ يتَنَاوَل كل من أَتَى بحسنة ففرح بهَا فَرح إعجاب، وأحب أَن يحمده النَّاس ويثنوا عَلَيْهِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ".[1]

7.يعيبون العمل الصالح، ويرضون ويسخطون لحظوظ أنفسهم:

يرضى المنافقون إن كان الأمر لصالحهم، ويغضبون إن كان ضد مصالحهم، وهذا حالهم يوم حنين،" لما آثر النبي صلى الله عليه وسلم أناسا في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة، قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها، وما أريد بها وجه الله، فقال ابن عمر: والله لأخبرنّ النبي صلى الله عليه وسلم، فأتيته فأخبرته، فقال: «فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله، رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر»[2].

وقال أبو سعيد الخدري _رضي الله عنه_ في أمثال هؤلاء: " بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ». فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ"[3] وفي هذا نزل قول الله تعالى:﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ التوبة: ٥٨.

يقول أبو جعفر الطبري:" ليس بهم في عيبهم إياك فيها، وطعنهم عليك بسببها، الدِّينُ، ولكن الغضب لأنفسهم، فإن أنت أعطيتهم منها ما يرضيهم رضوا عنك، وإن أنت لم تعطهم منها سخطوا عليك وعابوك"[4].

---

3 بدرالدين العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، 157/18).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب فرض الخمس، بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِي المُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الخُمُسِ وَنَحْوِهِ، رقم الحديث3150، (95/4).

[3] . البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الاسلام، رقم الحديث3610، (200/4)

[4] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (301/14)

يرى المنافقون اكتمال الرضا لديهم يكون بإعطائهم حظوظ الدنيا والغنائم والخيرات، وإن وصل الأمر إلى المنع يسخطون ويغضبون، فالمعيار المعتمد لديهم حب الذات والمال، وليس حب الله ورسوله.

8. يسخرون من العمل الصالح القليل:

التكليف في الشرع يكون حسب الطاقة والوسع، فالله سبحانه وتعالى لا يكلف النفس فوق طاقتها، من أجل أن تقع في المشقة والعسر، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦ ﴾ البقرة: ٢٨٦، قال الطبري:" لا يكلف الله نفسا إلا ما يسعها فلا يجهدها، ولا يضيق عليها في أمر دينها، فيؤاخذها بهمة إن همت، ولا بوسوسة إن عرضت لها، ولا بخطرة إن خطرت بقلبها"[1].

فالمنافقون لا يعجبهم من تبرع بكل ماله أو نصفه أو قدم الغالي والنفيس لديه، وكذلك لا يعجبهم من قُدِر عليه رزقه فلم يستطع أن يقدم ألا القليل، فكل إنسان يقدم وسعه، وفي هذا نقرأ حديث ابن مسعود _ رضي الله عنه _ :" لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ، كُنَّا نُحَامِلُ[2]، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالُوا: مُرَائِي، وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ، فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا"[3] فَنَزَلَتْ: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩ ﴾ [التوبة: ٧٩]

---

[1] . الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**،(131/6)

[2] نحامل: أي تكلف الحمل بالأجرة ليكسب ما يتصدق به. وتحاملت الشيء: تكلفته على مشقة. وتحاملت على نفسي إذا تكلفت الشيء على مشقة. أنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (176/11)

[3].البخاري، **صحيح البخاري**،كتاب الزكاة، بَابٌ: اتقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تمْرَةٍ وَالقَلِيلِ مِنَ الصَّدَقَةِ، رقم الحديث1415، (109/2)

قال القشيري في تفسيره للآية السابقة: "عابوا الذين قصرت أيديهم عن الإكثار في الصدقة، وجادوا بما وصلت إليه أيديهم، فشكر الله سعي من أخلص في صدقته، بعد ما علم صدقه فيها؛ وقليل أهل الإخلاص أفضل من كثير أهل النفاق"[1].

9.التخلف عن الزحف:

اعتذر المنافقون بألسنتهم دون قلوبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحلفوا له أنهم أحبوا المشاركة في غزوة تبوك، ولكن حبسهم العذر، وتعهدوا بالخروج في المرات القادمة أن لزم ذلك، وفي هذا يقول كعب بن مالك – رضي الله عنه – الصحابي الجليل، أحد الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، ولم يكن من المنافقين: "كَانَ إِذَا قَدِمَ الرسول صلى الله عليه وسلم مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ، فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ المُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلاَنِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ» فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لِي: «مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟». فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ، تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ، لاَ وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ»[2].

فالمنافقون قدّموا أعذاراً واهية من أجل البقاء في المدينة، وعدم مرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٨٦ ﴾ [التوبة: ٨٦]

---

[1].انظر:القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: 465هـ)، **لطائف الإشارات**، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط/3 ،(49/2)

[2].البخاري، **صحيح البخاري**،كتاب المغازي، بَابُ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا}،رقم الحديث3/4418,6)

قال القشيري: "إذا توجّه عليهم الأمر بالجهاد، واشتدّ عليهم حكم الإلزام، تعلّلوا إلى السّعة وعدم القدرة، وركنوا إلى اختيار الدّعة واحتالوا في موجبات التّخلّف، أولئك الذين خصّهم الله بخذلانه، وصرف قلوبهم عن ابتغاء رضوانه"[1].

10.الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف:

المنافقون والمنافقات صنف واحد في إعلانهم الإيمان واستبطانهم الكفر، يأمرون بالكفر بالله ومعصية رسوله، وينهون عن الإيمان والطاعة بالسر، ويمسكون أيديهم عن النفقة في سبيل الله، ونسوا الله فلا يذكرونه، فنسيهم من رحمته، فلم يفقهم إلى خير، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [التوبة: ٦٧].

ومن الأمثلة الدالة على الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف:

1.الدعوة إلى عدم المشاركة في غزوة تبوك لأن الجوّ حارّ: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [التوبة: ٨١]

2.الدعوة إلى عدم الخروج إلى غزوة أحد حتى لا يتعرضوا للقتل: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

11.التناجي بالإثم والعدوان:

نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتناجوا فيما بينهم كما يفعل اليهود والمنافقون، إذ لم يكن التناجي بين المنافقين يقوم على الحق، بل كان كلاما يؤذي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا يدعون إلى الإثم والعدوان ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ

[1].انظر: عبد الكريم القشيري ، **لطائف الإشارات**، (51/2)

إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِۖ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٨﴾ المجادلة: ٨

"والتناجي من صفات المنافقين، كانوا يتناجون دون المؤمنين، حتى يُحزِنوا الذين آمنوا، وكان اليهود أيضاً يتناجون إذا رأوا مسلماً يمر من أمامهم، فيتناجون حتى يخيفوا ذلك المسلم، ويوهموه بأنهم يدبرون له مؤامرة، ويحيكوا حوله خدعه، لعلهم يهلكونه بها، وكان المؤمنون يحزنون لذلك فيجتنبون تلك الطرق؛ فنزلت هذه الآية بحق اليهود والمنافقين، وأظهرت للمؤمنين بأن هذا التناجي لا يضرهم مطلقاً إلا بإذن الله سبحانه، فهم يتوكلون على الله، فيمنع الله عنهم ذلك الكيد وذلك العداء"[1]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٠ ﴾ [المجادلة: ١٠]

11.إشاعة الفاحشة:

لما شاع الإفك، تسارع أهل النفاق إلى ترويجه ونشره بين الناس، من أجل خلق البلبلة والاضطراب في بيت النبوة والمدينة المنورة، وكان ممن نشر خبرَ الإفك بعضُ الصحابة ممن ليسوا بمنافقين، فقام النبي (عليه الصلاة والسلام)" خطيبا بالناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: ما تشيرون علي في قوم يسبون أهلي، ما علمت عليهم من سوء قط "[2]. وفي هذا يقول الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩ ﴾ النور: ١٩.

قام المنافقون في المدينة بالفساد والإفساد، بكل صوره وأشكاله، ولم يَدَعُوا شاردة ولا واردة في سبيل ذلك إلا فعلوها، ومع ذلك فإنهم يتبجحون بأنهم مصلحون، ولا يريدون إلا الخير.

---

[1] . محمد صالح المنجد، خطبة التناجي، http://almunajjid.com/8126) تاريخ 15-4-2016

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تعَالَى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}، رقم الحديث7370، (119/9).

وقد نبه رب العزة – جل وعلا – المؤمنين لهذه الحقيقة، حتى لا يغتروا بهم، أو يركنوا إليهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾ البقرة: ١١ – ١٢

المبحث الخامس: الظن السيء بالله تعالى

لا يظن بالله ظن السوء إلا المشركون والمنافقون، ولا يسلم من ذلك إلا من تيقن الإيمان في قلبه، وعرف الله حق معرفته، قال الرسول صلى الله عليه وسلم"إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تباغضوا، وكونوا إخوانا "[1]

قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾ [الفتح: ٦]،

قال ابن قيم الجوزية: " وقد فسر هذا الظن الذي لا يليق بالله بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وأنه يسلمه للقتل، وقد فسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقضائه وقدره، ولا حكمة له فيه، ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، ويظهره على الدين كله، وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون به سبحانه وتعالى"[2]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ۝١٢﴾ الفتح: ١٢

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لهؤلاء الأعراب المعتذرين إلى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم عند منصرَفه من سفره إليهم بقولهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ [الفتح: ١١]، ما تخلفتم خلاف رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم حين شخص عنكم، وقعدتم عن صحبته من أجل شغلكم بأموالكم وأهليكم، بل تخلفتم بعده في منازلكم، ظنا منكم أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ومن معه من أصحابه سيهلكون، فلا يرجعون إليكم أبدا باستئصال العدوّ إياهم وزيِّن ذلك في قلوبكم، وحسَّن الشيطان ذلك في قلوبكم، وصححه عندكم حتى حسُن عندكم التخلف عنه، فقعدتم عن

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع، رقم الحديث5143، (19/7).

[2] . ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط27-1415هـ، (205/3).

صحبته (وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ) يقول: وظننتم أن الله لن ينصر محمدا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وأصحابه المؤمنين على أعدائهم، وأن العدوّ سيقهرونهم ويغلبونهم فيقتلونهم"[1].

قال الدكتور الحقيل: "فإن الظن السيئ بالله سبحانه وتعالى هو نتاج قلب فاسد جاهل بالله تعالى وأسمائه وصفاته، خالٍ من ذكر الله تعالى وتعظيمه. وهكذا كان حال المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يتعلقون بأي شيء فيه إضعاف للحق، وإرجاف بين المؤمنين؛ رجاء أن يزول هذا الحق الذي لا يريدونه، وتكررت منهم الظنون السيئة في مواقف كثيرة، سجل القرآن منها ظنونهم في أُحدٍ والأحزاب والحديبية، واستمر المنافقون منذ ذلك الوقت إلى اليوم على هذا المنهج الفاسد، تدفعهم إليه قلوبهم المريضة، بالرغم من أنّ الظنّ السيء بالله تعالى من آكد صفات المنافقين، إلا أنّ بعض المسلمين يقعون بهذه الصفة من حيث لا يعلمون، إذ ينظر البعض إلى أحوال الأمة الإسلامية، وما أصابها من الضعف والهوان؛ فيصيبه اليأس من صلاح أحوالها؛ فيقعد عن العلم والدعوة، ويتخلف عن الخير والصلاح، يظن ظنًّا سيئًا، مفاده أنه لا صلاح يرجى، ولا خير ينتظر"[2]، والله _جل وعلا _ يقول: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ الأحزاب: ١٠ – ١٢

لعل من المفيد هنا أن نجمل صفات المنافقين التي اتضحت بالأدلة والبراهين فيما سبق، فهم يتقلبون في الشكوك والأوهام والظنون الفاسدة، ولا تُصاح عليهم صيحة إلا ويحسبونها عليهم، يفقدون بوصلة اليقين بالله تعالى، عندهم يأس من روح الله، يصفون الله تعالى بصفات لا تليق بكرمه وجوده ورحمته وعدله وحكمته، فمقتهم الله تعالى وهددهم وتوعدهم في أكثر من آية، تَعَالَى: ﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾ الفتح: ٦ . و قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ الفتح: ٦.

---

[1] . الطبري، **جامع البيان في (تأويل القرآن**،(213/22).

[2] . مقالة الشيخ د. ابراهيم بن محمد الحقيل، **المنافقون وظن السوء**، تاريخ المقال 21شوال1428هـ، (http://www.alukah.net) 15-6-2015

الفصل الثالث

أساليب المنافقين

المبحث الأول: إثارة الشكوك.

المبحث الثاني: الرياء.

المبحث الثالث: نشر الفاحشة.

المبحث الرابع: التثبيط.

المبحث الخامس: اختلاق الأعذار.

المبحث الأول

إثارة الشكوك

إنّ إثارة الشكوك في العقيدة الإسلامية والمنهج النبوي من الأساليب التي اتبعها المنافقون في المدينة، لإضعاف الدولة الإسلامية، ومنع نموها وازدهارها وتطورها، وفي سبيل هذه الغاية (إثارة الشكوك) عمل المنافقون على تشكيل مرجعية داعمة لهم في داخل المدينة من أعوانهم، وفي خارجها من حلفائهم من اليهود ومشركي مكة وقبائل العرب، وكان يرأس هذا الأمر عبد الله بن أبي بن سلول، وقد قام هو ومن معه من المنافقين بأعمال كثيرة داخل المدينة المنورة، من أجل تحقيق الأهداف المنشودة، ولكنّ وعي المجتمع المسلم وتكاتفه حول راية محمد صلى الله عليه وسلم، وإخلاص عملهم لله سبحانه وتعالى؛ كان سببا مباشرا في تشتيت شملهم وتفرق كلمتهم.

ومن مظاهر إثارة المنافقين للشكوك في صفوف المؤمنين:

1.انسحاب ثلث الجيش يوم أحد:

لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى أحد، رجع أناس ممن خرج معه، فاختلف الصحابة في شأنهم، وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم: «إنها طيبة، تنفي الذنوب، كما تنفي النار خبث الفضة»[1].

وظهر شكهم وسوء ظنهم بالله ورسوله، وأن الله لن يتم الأمر لرسوله ولن ينصر دينه في هذه الغزوة، وفي هذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

---

[1].البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، رقم الحديث4050،(96/5).

يقول أبو جعفر الطبري:" المنافقون لا هم لهم غير أنفسهم، فهم من حذر القتل على أنفسهم، وخوف المنية عليها في شغل، قد طار عن أعينهم الكرى، يظنون بالله الظنون الكاذبة، ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله، شكًا في أمر الله، وتكذيبًا لنبيه صلى الله عليه وسلم، وَمحْسَبة منهم أن الله خاذل نبيه ومُعْلٍ عليه أهل الكفر به"[1].

2.إثارتهم الشكوك يوم الخندق:

الأحداث المتسارعة في غزوة الأحزاب من حفر الخندق، وحصار المدينة، وكثرة الأعداء، واشتداد الخطب والبلاء، أدت إلى إضعاف المؤمنين، واشتداد ظلام النفاق، وزرع الشكوك في قلوب المؤمنين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ١١ – ١٢].

3 نكوص المنافقين عن الخروج يوم الحديبية:

خرج بعض المنافقين إلى الحديبية ظنا منهم أن المشركين سيقضون على محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه لقلة عددهم وعدتهم، ولكن الله خيب رجاءهم وأمانيهم بعودة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بصلح الحديبية، الذي كان من نتائجه فتح عظيم (فتح مكة) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الفتح: ١٢] .

4.إثارة الشكوك حول زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب رضي الله عنها

لم يكتف المنافون في إثارة الشكوك في أحلك الظروف لإيقاع المؤمنين في شباكهم، والنيل منهم والقضاء عليهم، بل سعوا في إثارة الشكوك في الحياة اليومية، من أجل أن تبقى الشكوك مستمرة في حياة المؤمنين؛ فهم لا ينتهون من مكيدة حتى يدخلوا بالأخرى، ومن ذلك حديثهم عن زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش_ رضي الله عنها_ ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى

[1] الطبري، **جامع البيان في (تأويل القرآن**،(320/7)

ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ٣٨ ﴾ الأحزاب: ٣٧ – ٣٨ .

حيث طعنوا في قضية زواجه صلى الله عليه وسلم بالسيدة زينبَ بنتِ جحش–رضي الله عنها–، لكونها زوجة الصحابي الجليل زيد بن حارثة –رضي الله عنه–، وكان اعتراضهم على أنها زوجة ابنه بالتبني في الجاهلية، فهو في حكم أبيه.

ورغم كل هذه الإثارات لم يستطع المنافقون إشعال نار الاحتدام الداخلي، وشق الصفوف داخل المدينة المنورة، بسبب حكمته صلى الله عليه وسلم البالغة، وبصيرته النافذة.

فالإسلام يحكمُ على الناس بالظاهر، والله يتولى السرائر، وظاهر هؤلاء أنهم أعلنوا إسلامهم، ولكنهم أضمروا كفرهم، وحقدهم على الإسلام والمسلمين، ومن جهده صلى الله عيه وسلم أنه لم يقم بأي إجراء بحق هؤلاء، بالرغم من مساسهم بشخصه الكريم، وأزواجه وأصحابه؛ بل ترك الأمر لينكشف على حقيقته، وحتى لا يقال: أن محمدا وأصحابه يترصدون للناس على أفعالهم وأخطائهم، وهذه النظرة آتت أكلها ضعفين، بل أضعافاً مضاعفة.

المبحث الثاني

الرياء

أطلق الشرع على الرياء شركا، فالمرائي يريد بفعله إرضاء الناس، وإن كان ظاهر العمل لله، والله لا يقبل عبادة من عبد وقع خلط في نيته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه"[1].

فالرياء: أن يقصد الإنسان بأقواله وأفعاله إرضاء الناس لا إرضاء الله سبحانه وتعالى[2]، حيث لم يكتف المنافقون بخداع المؤمنين، بل تجاوز الأمر إلى مخادعة الله سبحانه وتعالى بأداء العبادات، فيقومون إلى الصلاة بفتور، ويقصدون من ذلك الرياء والسمعة، ويظنون بذلك أن الأمر يخفى على الله بتصرفاتهم تلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ [النساء: ١٤٢]

والأصناف التي ترائي في أعمالها أمام الناس، من أجل الظهور بمظهر الشجاعة أو التقوى أو البذل والعطاء، تدخل في أبواب النفاق، فعن أبي هريرة _ رضي الله عنه_ أنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم، وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن

---

[1] . الإمام مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم ال حديث2985، (2289/2)

[2] أنظر: الجرجاني، **التعريفات**، (113/1).

ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار "[1].

من أخلص في عمله بقي هذا العمل ونما له الأجر والثواب في الآخرة، وأما من أراد بعمله الناس كما يفعل المنافقون، شهر به، ولم ينل الأجر والثواب يوم القيامة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به»[2].

وقال ابن حجر: "وقيل من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس ولم يرد به وجه الله فإن الله يجعله حديثا عند الناس، الذين أراد نيل المنزلة عندهم، ولا ثواب له في الآخرة، ومعنى يرائي يطلعهم على أنه فعل ذلك لهم لا لوجهه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [هود: ١٥ – ١٦] وقيل المراد من قصد بعمله أن يسمعه الناس، ويروه ليعظموه وتعلو منزلته عندهم حصل له ما قصد وكان ذلك جزاءه على عمله ولا يثاب عليه في الآخرة"[3].

ومن نماذج رياء المنافقين:

1.المراءاة في الصلاة:

تعد الصلاة الفريضة الأكثر همّا وحزنا على المنافقين، لأنها تحتاج إلى جهد ومداومة؛ لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا، لقد هممت أن آمر المؤذن، فيقيم، ثم آمر رجلا يؤم الناس، ثم آخذ شعلا من نار، فأحرق على من لا يخرج إلى الصلاة بعد»[4].

---

[1] الإمام مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، بَابُ مَنْ قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، رقم الحديث1905، (1513/3).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب الرياء والسمعة، رقم الحديث6499،(104/8).

[3] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (336/11).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأذان، بابُ فَضْلِ العِشَاءِ فِي الجَمَاعَةِ، رقم الحديث657، (132/1).

قال الحافظ ابن حجر: " إن الصلاة كلها ثقيلة على المنافقين"، ومنه قوله تعالى: "ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى" وإنما كانت العشاء والفجر أثقل عليهم من غيرهما لقوة الداعي إلى تركهما؛ لأن العشاء وقت السكون والراحة، والصبح وقت لذة النوم، وقيل: وجهه كون المؤمنين يفوزون بما ترتب عليهما من الفضل لقيامهم بحقهما دون المنافقين "[1].

2.المراءاة بذكر الله قليلا.

ذم الله المنافقين لصفات كثيرة، منها أنهم لا يذكرون الله إلا قليلا، وهذا القليل ليس في خلواتهم بل أمام الناس، من أجل إظهار درجة التعلق بالله في ذكره، قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ النساء: ١٤٢.

قال ابن القيم: " لهم علامات يُعرفون بها مبينة في السنة والقرآن، بادية لمن تدبرها من أهل بصائر الإيمان، قام بهم والله الرياء، وهو أقبحُ مقام قامه الإنسان، وقعَدَ بهم الكَسَلُ عما أمرُوا به من أوامر الرحمن، فأصبح الإخلاص عليهم لذلك ثقيلا، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلًا. أحدهم كالشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة، ولا تستقر مع إحدى الفئتين، فهم واقفون بين الجمعين"[2].

3.التذبذب بَين المؤمنين والكفار.

من شأن المنافقين الحيرة والتردد وعدم الاستقرار على أمر واحد، فهم في حيرة دائمة، ليسوا مع المؤمنين على الهدى، وليسوا مع المشركين أو الأعداء على الكفر، فهم حيارى بين الإيمان والكفر، ومن يُصرف قلبه عن ذكر الله والتمسك بهديه، فلن يجد طريق الهداية واليقين.

---

[1] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**،(141/2).

[2] ابن قيم الجوزية، **صفات المنافقين**، (10/1).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ١٤٣ ﴾ [النساء: ١٤٣] فهم بتذبذبهم أمام المؤمنين يظهرون معالم الإيمان والتقوى، وإذا خلو إلى شياطينهم أظهروا حقيقة ما في أنفسهم وما هم عليه من الكفر.

قال بدر الدين العيني: "المنافقون متحيرون بين الإيمان والكفر فلا هم مع المؤمنين ظاهرا وباطنا، ولّا هم مع الكفار ظاهرا وباطنا، بل ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين، ومنهم من يعتريه الشك، فتارة يميل إلى هؤلاء وتارة يميل إلى هؤلاء"[1].

وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم الحيرة التي يكون عليها المنافق، بالغنم الحائرة، كما في حَدِيث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة، لا تدري أيتهما تتبع"[2].

الرياء محبط للعمل، وعقوبته شديدة في الدنيا والآخرة، ولكنّه مع ذلك من أفضل أساليب المنافقين، لإخفاء حقيقتهم، وعدم اكتشاف أمرهم، وليتمكنوا من القيام بالأعمال التي يريدون القيام بها في المجتمع المسلم.

---

[1] بدر الدين العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**،(69/16).

[2] الإمام مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب المنافقين وصفاتهم، رقم الحديث2784، (2146/4).

المبحث الثالث

نشر الفاحشة

لا تقتصر إشاعة الفاحشة بين المؤمنين على الزنى ومقدماته؛ بل تشمل كل خبر سيء يشوه سمعة المؤمنين، ويهدد التركيب الاجتماعي بينهم، ويدخل الشك وسوء الظن بين الناس، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور: ١٩]

ومن النماذج الصارخة على سعي المنافقين إلى إشاعة الفاحشة بين صفوف المؤمنين في المدينة المنورة ما يلي :

الحادثة الأولى: حادثة الإفك:

حادثة الإفك كانت محنة وابتلاء لبيت النبوة والمؤمنين، وانقلبت بفضل من الله ومنّه إلى منحة، وذلك بفضح المنافقين وكشف خزيهم أمام الناس، نبينها من خلال حديث عائشة_ رضي الله عنها_ المطول، وفيه تفاصيل الحادثة، من اتهامها حتى براءتها في كتاب الله العزيز. ونذكر من حديث عائشة _ رضي الله عنها_ قول عروة في الذين خاضوا في الإفك: " وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول، قال عروة: أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده، فيقره ويستمعه، وقال عروة أيضا: لم يسم من أهل الإفك إلا حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، في ناس آخرين لا علم لي بهم، غير أنهم عصبة"[1]. وفي هذا قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ النور: ١٤ – ١٧

ويقول أبو جعفر الطبري في تأويل الآيات السابقة: " أيها الخائضون في أمر عائشة، المُشِيعُون فيها الكذب والإثم، لمسَّكم فيما أفضتم فيه من شأن عائشة عذاب عظيم، حين تلَّقونه

[1] . البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، رقم الحديث4141،(116/5)

بألسنتكم، تتلقون الإفك الذي جاءت به العصبة من أهل الإفك، فتقبلونه، ويرويه بعضكم عن بعض ليُشيع عليها بذلك الفاحشة"[1].

ويستفاد من الحادثة، " التحذير الشديد من الإشاعة وترويجها بين الناس، خصوصا فيما يتعلق بالحياة الخاصة للأفراد، وعدم تتبع العورات، وضرورة التبيّن قبل تصديق أي إشاعة، وإن كانت الشبهة قائمة وقوية، فعائشة أم المؤمنين عادت برفقة أجنبي بعد انطلاق الجيش، فسلقوها بألسنة حداد قبل أن تظهر براءتها.

ونحن نعيش اليوم تطورا هائلا في وسائل التكنولوجيا التي تساعد على تتبع العورات واصطياد العثرات، بل ودبلجة الصور والصوت، لتخريب البيوت أو للابتزاز من أجل المال أو الاستغلال الجنسي، وأحيانا لإسقاط خصم سياسي، والإسلام يحرم هذا كله ويطالب بأربعة شهداء عدول "[2].

على المؤمنين محاربة الإشاعات، وعدم نشرها حتى تموت في مهدها، وأن يحسنوا الظن بالمؤمنين دائما، وينزهوا ألسنتهم عن الأحاديث التي تضر المجتمع المسلم، واتخاذ الإجراءات المناسبة في زجر مروجيها حتى تنعم الأمة بالخير والعافية.

الحادثة الثانية: إجبار الإماء على البغاء من أجل التكسب

نهى الإسلام الذين يكرهون فتياتهم على البغاء من أجل التكسب المادي، وابتغاء عرض الدنيا، فعن أبي هريرة _ رضي الله عنه_ «نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كسب الإماء»[3]، فكان عبد الله بن أبي بن سلول عنده جواري يكرههن على البغاء، من أجل المال أو الولد؛ وكان عبد الله بن أبي بن سلول يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئا:"[4] فنزل في شأنه قرآن يتلى إلى

---

[1] أنظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**،(130/19-131)

[2] السقيري،أحمد السقيري الديني، **مقالة دروس وعبر من حادثة الإفك**، بتاريخ 24-3-2013، (http://www.hespress.com)

[3]. البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإجارة، باب كسب البغي والإماء، رقم ال حديث2283،(93/3)

[4].الإمام مسلم ، **صحيح مسلم** ،كتاب التفسير، بَابٌ فِي قَوْلِهِ تعَالَى: {وَلَا تكْرِهُوا فَتيَاتكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ}، رقم الحديث3029، (2330/3)

يومنا هذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النور: ٣٣]

ولقد كان لعبد الله بن أبي بن سلول جاريتان يجبرهما على الزنا، وهما مسيكة وأميمة، ويذكر جابر _رضي الله عنه_ شكواهن لنبي صلى الله عليه وسلم فيقول: " أن جارية لعبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها: مسيكة، وأخرى يقال لها: أميمة، فكان يكرههما على الزنا، فشكتا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم"[1].

إنّ ممّا يستهان به اليوم _ مع تطور وسائل التواصل الحديثة _ نقل الصور الخليعة، والمقاطع الهابطة، ولا يعلم من يقوم بذلك أنّ هذه الأشياء وغيرها من أشكال إشاعة الفاحشة، التي دأب المنافقون عليها في المدينة، وهي أمر في غاية الخطورة، إذ تجعل الفاحشة أمرا عاديا، لاعتياد الناس على رؤيتها، وسماعها، والخوض فيها، وبذلك لا تنكرها القلوب، ولا الفطرة السوية ترفضها.

[1] . مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب التفسير، باب في قوله تعالى: {ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء}، رقم الحديث3029،(2320/4)

المبحث الرابع

التثبيط والتخذيل

سعى المنافقون إلى إضعاف الدولة الإسلامية في المدينة، ولا سيما في أشد المحن وأصعبها، عن طريق التثبيط والتخذيل، فهم لا ينظرون إلى الأمور إلا نظرة سطحية نفعية، ويشهد التاريخ بأفعالهم في غزوتي الأحزاب وتبوك، حينما بثوا سمومهم بين المؤمنين من أجل أن يوهنوا من عزيمة الجيش الإسلامي، في وقت أحوج ما يكون الجيش فيه إلى تحريض وتشجيع ورفع للمعنويات.

ومن نماذج تخذيلهم للمؤمنين، في المدينة المنورة:

1.غزوة الخندق (الخوف من قوة الأحزاب وشدة الحصار):

أشار القرآن إلى أقوال المنافقين عندما اشتد حصار الأحزاب للمدينة المنورة، وأخذوا يشككون بوعد محمد صلى الله عليه وسلم بنصر الله سبحانه وتعالى، فكشف الخوف من لقاء العدو ما تجول به نفوسهم، من شك وسوء ظن بالله، وتوكلهم على ظاهر الأمور، فقال الطبري: "قال رجل يوم الأحزاب لرجل من صحابة النبيّ صلى الله عليه وسلم: يا فلان أرأيت إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم"[1]: "إذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَإذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلا كِسْرَى بَعْدَهُ، والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُما في سَبِيلِ اللهِ" فأين هذا من هذا، وأحدنا لا يستطيع أن يخرج يبول من الخوف"[2] فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٢ – ١٤]

---

[1] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (223/20)

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الايمان والنذور، باب كيف كانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث 6629، (129/8)

فصور القرآن الكريم حال المنافقين عندما أشتد الخوف وبلغت القلوب الحناجر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٩]

قال د. منير الغضبان: "هم المعوقون الذين كانوا يخذلون رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقابعون في جحورهم في المدينة، وهم جبناء مثل أسلافهم. لكنهم لخذلانهم وتخاذلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح مهوى قلوبهم مع العدو، وكان الوصف دقيقا لاذعا لهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩] ، طارت قلوبهم من صدورهم رعبا، وهؤلاء حكم القرآن عليهم أنهم غير مؤمنين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب: ١٩].

وهم على استعداد أن يتركوا المدينة ومن فيها إذا حاق الخوف واشتدت المصيبة، خاصة حين اشتدت المحنة وابتلي المؤمنون، وزلزلوا زلزالا شديدا، وإن المشكلة ليست هي الخوف فالمؤمنون يخافون، إنما المشكلة هي بواعث الخوف ونتائجه وارتباط ذلك بالإيمان وعدمه".[1]

2.غزوة تبوك (بعد المسافة وقوة العدو):

اتخذ المنافقون من غزوة تبوك فرصة للتخذيل والتثبيط، من أجل ثني المؤمنين عن المشاركة في هذه الغزوة، وكان دورهم في إقناع الناس بالبقاء، من أجل جني الثمار والتمتع بظلالها، وهو وقت الراحة والسكون واجتماع الأهل والابتعاد عن حر الصيف، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [التوبة: ٨١] .

استجابتْ الأكثرية من المنافقين لهذه الدعوة، وبقوا في المدينة المنورة، ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ

[1] منير الغضبان، **فقه السيرة النبوية**، (610/1).

فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ التوبة: ٤٦ لو صدقوا بالخروج لخرجوا ، لكن أرادوا أن يكونوا مع أصحاب الأعذار(القاعدين) من النساء والصبيان والمرضى.

قال الدكتور راغب السرجاني: "من أعظم حكم الابتلاء الواقع على أمة الإسلام عبر العصور، هو تميز الصف المسلم، وتمحيصه من أصحاب النفوس المريضة، والمنافقين وطلاب الدنيا، ذلك لأن المسلمين إذا كانوا دائمًا ظاهرين قاهرين لعدوهم دخل في صفهم من ليس منهم ولا على طريقتهم، وهؤلاء الدخلاء على اختلاف أنواعهم "منافقين أو طلاب دنيا أو أصحاب أهواء وشهوات، فإذا دخلوا الصف، وبقوا فيه على المدى الطويل يفسدون الصف، ويكونون سبب التفرق والتشرذم، فهم تمامًا كالداء الكامن داخل الصف، والأوساخ على الثوب الأبيض، والأكدار التي تعكر صفو الماء الرائق، إذا لم يتم التخلص منهم أولاً بأول، فإنّ وجودهم وبالا على الأمة، لذا يضمن الابتلاء تطهيرًا ذاتيًّا دائمًا للصف المسلم"[1] ، وصدق الحق عندما قَالَ ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ آل عمران: ١٧٩.

لم يكتف المنافقون بالتخلف عن الغزوات، والتقصير في الواجبات، بل سعوا بين صفوف المؤمنين للتخذيل والتثبيط، ليكونوا أغلبية، فيتحقق مرادهم في خلق البلبلة في المجتمع وتفتيت لبناته.

[1]. موقع الدكتور راغب السرجاني، http://islamstory.com/ بتاريخ 2016 /7/20

المبحث الخامس

انتحال الأعذار

من أساليب المنافقين الخبيثة التي اعتمدوها من أجل التملص من الواجبات الشرعية، تقديم الأعذار الواهية، وادعاء محبة المشاركة في كل عمل خيري.

ومن نماذج اعتذارات المنافقين في غزوتي الخندق وتبوك:

1.ساق المنافقون الأعذار الزائفة، بأن بيوتهم عورة، يخشون عليها السراق، ولكن الله يعلم نيتهم السيئة، بالفرار من أرض المعركة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب: ١٣]

2.اعتذر المنافقون بأنهم يخشون على أنفسهم فتنة النساء، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [التوبة: ٤٩]

"فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، وهو في جهازه ذلك للجد بن قيس أحد بني سلمة: يا جد، هل لك العام في جلاد بني الأصفر؟ فقال يا رسول الله أو تأذن لي ولا تفتني؟ فو الله لقد عرف قومي أنه ما من رجل بأشد عجبا بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك ففي الجد بن قيس نزلت هذه الآية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [التوبة:49] "أي إن كان إنما خشي الفتنة من نساء بني الأصفر وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة أكبر بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرغبة بنفسه عن نفسه، ويقول وإن جهنم لمن ورائه"[1].

3.ومن أعذار المنافقين في غزوة تبوك شدة الحر وبعد المسافة وقوة العدو، فأنزل الله تَعَالَىٰ:﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟

[1] ابن هشام، **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية**،(384/7).

لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ٨١ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢ ﴾ [التوبة: ٨١ – ٨٢]

قال الرازي: "أن المنافقين احتالوا في رخصة التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عن الغزو، وفي هذه الآية زاد دقيقةً أخرى، وهي أنه متى نزلت آيةٌ مشتملةٌ على الأمر بالإيمان وعلى الأمر بالجهاد مع الرسول، استأذن أولو الثروة والقدرة منهم في التخلف عن الغزو، وقالوا لرسول الله ذرنا نكن مع القاعدين: أي مع الضعفاء من الناس والساكنين في البلد، ووصفهم بأولي الطّول: لبيان أن الذم لهم ألزم لأجل كونهم قادرين على السفر والجهاد"[1].

لجأ المنافقون إلى اختلاق الأعذار، من أجل التخلص والهروب من التكاليف الشرعية، والساحات الجهادية، وما زالت هذه العادة مستشرية في مجتمعنا، ولم تقتصر على التكاليف الشرعية، بل تعدتها إلى جميع مناحي الحياة العملية.

[1]. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، **مفاتيح الغيب التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/3–1420هـ، (118/16).

الفصل الرابع

الأسلوب النبوي في التعامل مع المنافقين

المبحث الأول: معاملتهم كالمسلمين

المبحث الثاني: حضهّم على التوبة

المبحث الثالث: جهادهم بالحجة والإغلاظ عليهم

المبحث الرابع: عدم قتلهم

المبحث الأول

معاملتهم كالمسلمين

عامل النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين في المدينة المنورة معاملة المسلمين؛ رغبةً منه في تأليف قلوبهم وعودتهم إلى رشدهم؛ على الرغم من معرفته حالهم، بما أطلعه الله _ سبحانه وتعالى_ عليه، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر لهم في بداية الأمر؛ طمعا في هدايتهم، حتى بيّن الله تعالى له حقيقة أمرهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة: ٨٤]

ودلت معاملة النبي صلى الله عليه وسلم للمنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول في المدينة المنورة على رغبته ومحبته في تأليف قلوبهم، ومن المواقف الدالة على ذلك، (معاملة النبي محمد صلى الله عليه وسلم للمنافقين معاملة المسلمين) ما يلي:

1. لما خرج النبي _ صلى الله عليه وسلم_ إلى أُحد، رجع أناس من أصحابه، فقالت فرقة: نقتلهم، وقالت فرقة: لا نقتلهم، و لكنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنها تنفي الرجال كما تنفي النار خبث الحديد»[1]، ونزل قوله تَعَالَىٰ:﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [النساء: 88]

ففي هذه الغزوة (غزوة أحد) لم يعامل النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين بالشدة والغلظة، بل تعامل معهم بحكمة بالغة، كشف حقيقتهم للمؤمنين، وترك لهم الباب مفتوحا للتوبة، وما ذلك إلا لإدراكه أن عقوبتهم على ما اقترفوا من أمر الانسحاب قد يؤدي إلى انجرار العشيرة في الدفاع عنهم، فوازن النبي صلى الله عليه وسلم الأمر، وكان له ما أراد من غير دماء أو اقتتال.

2. قال جابر بن عبد الله: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين، رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما بال دعوى الجاهلية» قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار،

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب فضائل المدينة، باب: المدينة تنفي الخبث، رقم الحديث1884،(22/3).

فقال: «دعوها فإنها منتنة» فسمع بذلك عبد الله بن أبي، فقال: فعلوها، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقام عمر فقال: يا رسول الله: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « دعه، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه»"[1].

فقد راعى النبي صلى الله عليه وسلم طبيعة المرحلة في ذلك الوقت، حتى لا يكون لعقوبتهم صدى في الجزيرة العربية، ويصبح الرأي العام ضد الدعوة الإسلامية الناشئة في المدينة المنورة، وعلى الرغم من فعل ابن سلول الخبيث في إثارة الفتنة والاضطراب إلا أن النبي لم يتعامل معه معاملة الند والعدو، بل أبقى له باب التوبة مفتوحا، وبقي يستغفر له حتى أمر بخلاف ذلك، بنزول قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٦﴾ المنافقون: ٦

3. في حادثة الإفك لم يقم النبي صلى الله عليه وسلم بإنزال أي عقوبة، أو اتخاذ أي إجراء مع الذين خاضوا في الحادثة بداية، بل استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، وقال لهم:" من يعذرنا في رجل بلغني أذاه في أهل بيتي، فَوَ الله ما علمت من أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا"[2].

4. قال عبد الله بن عمر: إنّ عبد الله بن أبي بن سلول لما توفي، جاء ابنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أعطني قميصك أكفنه فيه، وصل عليه، واستغفر له، فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم قميصه، فقال: «آذني أصلي عليه»، فآذنه، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر رضي الله عنه، فقال: أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين؟ فقال: " أنا بين خيرتين[3]، قال تعالى: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القران، باب قوله: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْت لَهُمْ أَمْ لَم تستغْفِرْ لَهُمْ، لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ}، رقم الحديث4905،(145/6).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الشهادات، باب إذا عدل رجل أحدا فقال: لا نعلم إلا خيرا، أو قال: ما علمت إلا خيرا، رقم الحديث2637،(167/3).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب الكفن في القميص الذي يكف أو لا يكف، ومن كفن بغير قميص، رقم الحديث1269، (76/2)

بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٨٠﴾ التوبة: ٨٠ فصلى عليه، فنزلت: قَالَ تَعَالَى:﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨٤﴾ التوبة: ٨٤

وعلى الرغم من اعتراض الصحابة _رضوان الله عليهم_ على الصلاة على المنافقين، وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب _رضي الله عنه_ الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين؟ إلا إنّ النبي صلى الله عليه وسلم صلى عليهم، وقال: " أنا بين خيرتين. فنزلت: قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨٤ ﴾ [التوبة: ٨٤] فترك الصلاة عليهم"[1].

عامل النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين كالمسلمين، وبذلك أغلق باب الفتنة، حتى لا تثور عند العرب الحمية القبلية، كما حدث عند دفاع سعد بن عبادة عن عبد الله بن أبي بن سلول، " ولكن احتملته الحمية – فقال: كذبت لعمر الله، لا تقتله، ولا تقدر على ذلك"[2]، لقد كان عند النبي صلى الله عليه وسلم بعد نظر عندما صبر عليهم، من أجل استقطاب غيرهم من العرب، حتى لا تقول العرب: إن محمدا لما اشتد وقوي أمره بدأ بقتل من يعارضه، لذلك قال عليه الصلاة والسلام: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه»"[3] .

وقال عمر بن الخطاب _ رضي الله عنه _ في شأن المنافقين بعد انقطاع الوحي: " إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرا، أمناه وقربناه، وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءً لم نأمنه، ولم نصدقه، وإن قال: إن سريرته حسنة "[4].

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب الكفن في القميص الذي يكف أو لا يكف، ومن كفن بغير قميص، رقم الحديث1269،(76/2).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا، رقم الحديث2621،(173/3).

[3] . البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القران، باب قوله: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ}، رقم الحديث4905،(145/6).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الشهادات، باب الشهداء العدول، رقم الحديث 2641،(169/3).

والمعنى: "أن ناساً من المنافقين كانوا معروفين بالنفاق، فكان الله ينزّل على النبي صلى الله عليه وسلم وحياً فيخبره بأن فلاناً منافق، فكان النبي صلى الله عليه وسلم ينطق بوحي من الله عز وجل، أما الآن بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فقد سن لنا عمر _رضي الله عنه_ قاعدة عظيمة، يقول لنا سيدنا عمر _ رضي الله عنه_ : "إنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم": أي: أن العمل دليل على أن هذا الإنسان صالح، أو أن هذا الإنسان مفسد"[1].

ما دام أن الفرد يظهر صلاته وصيامه والتزامه بأحكام الإسلام فهو معصوم الدم، ما لم يرتكب محظورا شرعيا، بهذه القاعدة سار النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع المنافقين، مع علمه صلى الله عليه وسلم بأسمائهم، لأنه لا يريد أن يجعل من النفاق أو شبهة النفاق وسيلة تهدم بنيان المجتمع.

[1] حطيبة، الشيخ أحمد حطيبة، **شرح رياض الصالحين**، (دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية)،(12/1).

المبحث الثاني

الحض على التوبة

جعل الإسلام التوبة باباً مفتوحا، فالتائب عن الذنب كمن لا ذنب له، ما لم تشرق الشمس من مغربها، ولم تغرغر الروح، وبهذه القاعدة عامل النبي صلى الله عليه وسلم الناس في المدينة، بما فيهم أهل النفاق، ولكن بعض الذنوب تحتاج لتوبة خاصة، وبشروط معينة، فالقتل والربا مثلا لا تكفي التوبة بعدها، بل لا بد من أن يتبعها أمور فرضها رب العزة ليبرئ المسلم ذمته، وكذلك النفاق اشترط الإسلام للتوبة منه أمورا ، لا بد من مراعاتها.

شروط المغفرة لمن كان منافقا:

الشرط الأول: الإقلاع عنه وتركه، خوفا من الله _ سبحانه وتعالى _، والعزم على عدم العودة إلى خصاله ، والندم على ما فعل، والتحلل من مظالم الناس.

الشرط الثاني: إصلاح ما أفسد، وفعل ما فيه صلاح المجتمع.

الشرط الثالث: الاعتصام بحبل الله _سبحانه وتعالى_، والوقوف عند حدود الله، وعدم تجاوزها مرة أخرى.

الشرط الرابع: الإخلاص لله سبحانه وتعالى، وعليه أن يُريَ الله من نفسه إخلاصا قويا نابعا من قلبه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾ النساء: ١٤٥ – ١٤٦

قال أبو جعفر الطبري: "وإذا قيل للمنافقين: أقبلوا تائبين عمَّا بدر منكم من سوء القول، يستغفر لكم رسول الله ويسأل الله لكم المغفرة عن ذنوبكم، أمالوا رؤوسهم وحركوها استهزاءً واستكبارًا، وهم

مستكبرون عن الامتثال لما طُلِب إليهم"[1]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ ﴾ [المنافقون: ٥]

ومن نماذج توبة واستغفار النبي صلى الله عليه وسلم للمنافقين:

1. **التجاوز عن انسحابهم يوم أحد،** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ۝٨٨ ﴾ [النساء: ٨٨].

2. **العفو عن كل من خاض في حادثة الإفك،** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٤ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ۝١٥ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ۝١٦ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧ ﴾ [النور: ١٤ – ١٧].

3. **قبوله أعذار المنافقين يوم الخندق،** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۛ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝١٣ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ۝١٤ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ۝١٥ ﴾ الأحزاب: ١٣ – ١٥

4. **قبوله أعذار المنافقين يوم الحديبية،** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ۝١١ ﴾ [الفتح: ١١].

5. **السماح لهم بعدم المشاركة يوم تبوك،** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ۝٨١ ﴾ [التوبة: ٨١].

[1] . الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن،** (397/23)

بالرغم من فتح باب التوبة للمنافقين، وسعي النبي صلى الله عليه وسلم للاستغفار لهم في كل حادثة وموقعه، إلا أنّهم اتخذوا من ذلك ذريعة للتهرب من الأعباء والتكاليف الشرعية؛ يتملصون بالحجج الواهية، ويجدون ذلك مبررا لذهابهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أجل أن يستغفر لهم على ما اقترفوا من تقصير في أداء الواجبات الشرعية؛ فكانت التوبة بالنسبة لهم أمام النبي صلى الله عيه وسلم كطوق النجاة من النقد والتجريح بين المؤمنين.

المبحث الثالث

جهادهم بالحجة والإغلاظ عليهم

استخدم النبي صلى الله عليه وسلم أساليب متنوعة وكثيرة من أجل تصحيح مسار المنافقين المنحرف، إلا أنهم لم ينتهوا واستمروا في غيهم، فعمد صلى الله عليه وسلم إلى استخدام أسلوب جديد معهم، وهو كشف حقيقة من تمرد وتجاوز حده، وتسبب في مضرة المسلمين، بإقامة الحجة عليه؛ حتى يتضح أمره بين المسلمين، ولا يقلده أحد من المسلمين، النبي صلى الله عليه وسلم لم يحرك ساكنا تجاه الذين انسحبوا في غزوة أحد؛ بل ترك معاتبتهم على انسحابهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ۗ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [النساء: ٨٨].

ولكنّ القرآن الكريم أقام الحجة عليهم، وكشفهم للملأ بما كانوا يخوضون ويلعبون في خلواتهم بآيات الله واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [التوبة: ٦٤ – ٦٦]

بعدما كُشِفَت حقيقة مسجد الضرار والقائمين عليها، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهدم المسجد الذي لا يهدف إلى خدمة المسلمين، بل كان وكرا للمنافقين لإيجاد مركز يأويهم، للقضاء على دعوة الإسلام العظيم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٧ – ١٠٨]، قال أبو جعفر الطبري في تأويل الآية الكريمة: "والذين ابتنوا مسجدًا ضرارًا لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكفرًا بالله لمحادّتهم بذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، ويفرّقوا به

المؤمنين، ليصلي فيه بعضهم دون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعضهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيختلفوا بسبب ذلك ويفترقوا"[1] .

وذكر الطبري رواية عن الزهري في تفسيره، تبين سبب نزول هذه الآية، "أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حتى نزل بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار. وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهّز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجدًا لذي العلّة والحاجة والليلة المطِيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه! فقال: إني على جناح سفر، وحال شُغْلٍ أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ولو قَدْ قَدمنا أتيناكم إن شاء الله، فصلَّينا لكم فيه. فلما نزل بذي أوان، أتاه خبرُ المسجد، نزل فيهم من القرآن ما نزل"[2].

سلك النبي صلى الله عليه وسلم كل طريق هيّن ليّن مع المنافقين، ليبتعدوا عن النفاق ويتوبوا منه، إلا أنهم أَبَوْا التوبة، واستغلوا عطفه صلى الله عليه وسلم ورفقه بهم، مما حدا به إلى اتباع الغلظة والشدة، ففضح أمرهم لمّا استهزأوا بآيات الله ورسوله والمؤمنين، وقلب الأمر على رؤوسهم لما بنوا مسجد الضرار.

---

[1] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**،(469/14).

[2] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، رقم الرواية17186،(468/14) وحكم عليه الالباني بأن أسناده لا يصح في **ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**،(370/5).

المبحث الرابع

عدم قتلهم

استخدم النبي صلى الله عليه وسلم أساليب متنوعة مع المنافقين من أجل عودتهم إلى الحق، ومن ذلك أنّه لم يَدَع أحدا من أصحابه يقتلهم، بل كان يعول على توبتهم، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقر عمر بن الخطاب _ رضي الله عنه_ على أنّ عبد الله بن أبي بن سلول منافق، ولكن مع ذلك يمنعه من أن يقتله، عندما قال لنخرجنّ الأعز منها الأذل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه"[1]، فالنبي صلى الله عليه وسلم أراد الحفاظ على الأمن والسلم المجتمعي، وحافظ على السياسة الخارجية للدولة، بعدم نشر أخبار تؤدي إلى عزوف الناس عن الإسلام وتعاليمه.

"فبعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن بذهبية في أديم مقروظ، لم تحصل من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر، بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع: إما علقمة وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ألا تأمنونني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحا ومساء»، قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية، محلوق الرأس، مشمر الإزار، فقال يا رسول الله اتق الله، قال: «ويلك، أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله» قال: ثم ولى الرجل، قال خالد بن الوليد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ قال: «لا، لعله أن يكون يصلي» فقال خالد: وكم من مصلٍ يقول بلسانه ما ليس في قلبه "[2] .

وفي قول ابن قيم الجوزية: "فإن نفاق عبد الله بن أبي وأقواله في النفاق كانت كثيرة جدا كالمتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وبعضهم أقر بلسانه وقال: إنما كنا نخوض

([1]). البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب (تفسير القران، بَابُ قَوْلِهِ: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ}، رقم الحديث4905، (145/6)

([2]).البخاري ، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام، وخالد بن الوليد رضي الله عنه، إلى اليمن قبل حجة الوداع،رقم الحديث4351، (163/5)

ونلعب، وقد واجهه بعض الخوارج في وجهه بقوله: إنك لم تعدل، والنبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له: ألا تقتلهم؟ لم يقل: ما قامت عليهم بينة، بل قال: لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه، فالجواب الصحيح إذن، أنه كان في ترك قتلهم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم مصلحة تتضمن تأليف القلوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجمع كلمة الناس عليه، وكان في قتلهم تنفير، والإسلام بعد في غربة"[1].

فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يريد قتله "لعلّه يصلي"، فهذا أسلوب نبوي يجب الأخذ به وعدم التهاون به، فالإسلام له الظاهر من شعائره وتعاليمه، وأمّا بواطن الأمور فمرجعها إلى الله _سبحانه وتعالى_ فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

اقتضت حكمة النبي صلى الله عليه وسلم بعدم قتلهم، درءاً للمفاسد وجلباً للمصالح، والتي تمثلت على النحو الاتي:

1. المحافظة على سمعة الدولة الناشئة في المدينة المنورة؛ وذلك بعدم تضخيم الأحداث التي تجري في المدينة؛ كقولهم إن أصحاب محمد يقتلون بعضهم بعضا، فيكون هذا الأمر منفرا للآخرين.

2. المحافظة على السلم المجتمعي في المدينة المنورة؛ فلو سمح صلى الله عليه وسلم لأصحابه قتل أي منافق لتحركت لنصرته القبلية كلها.

3. إصدار النبي العفو عنهم في كثير من المواقف، وقبوله لأعذارهم، والاستغفار لهم، كانت من باب التأليف لهم، لعلهم يرجعون عن نفاقهم ويوعدون إلى رشدهم.

[1].ابن قيم الجوزية، **زاد المعاد في هدي خير العباد**،(396/3)

الفصل الخامس

مواقف ظاهرها النفاق

المبحث الأول: الانشغال بالدنيا والتنعم بخيراتها

المبحث الثاني: الانفعال والحمية مع سلامة الصدر

المبحث الثالث: الخطأ العابر لمن له سابقة في الخير

المبحث الرابع: التقصير في الواجبات من قبل أصحاب الفضل

المبحث الأول

الانشغال بالدنيا والتنعم بخيراتها

الخوف من النفاق علامة من علامات الإيمان، فالحياة اليومية كثيرة المشاغل والملهيات، فالإنسان عندما تُذكر أمامه القيامة وما فيها من أهوال، والجنة والنار، يستشعر مخافة الله وقرب اللقاء به، لكن بمجرد أن قام من مجلسه إلى مشاغل الدنيا عاجلته الأشغال والأعمال، حتى لا يكاد يفطن للحالة التي كان عليها.

فصدق حنظلة وأبو بكر _ رضي الله عنهما_ عندما راجعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول حنظلة: لقيني أبو بكر، فقال: كيف أنت؟ يا حنظلة قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، يذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرا، قال أبو بكر: فوَ الله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر، حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: نافق حنظلة، يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما ذاك؟» قلت: يا رسول الله نكون عندك، تذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات[1].

قال النووي" إنه خاف أنه منافق، حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكر والإقبال على الآخرة، فإذا خرج اشتغل بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا، وأصل النفاق إظهار ما يكتم خلافه من الشر فخاف أن يكون ذلك نفاقا،

[1] الإمام مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا، رقم الحديث، رقم الحديث2750،(2106/4).

فأعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم أنه ليس بنفاق وأنهم لا يكلفون الدوام على ذلك ساعة وساعة أي ساعة كذا وساعة"[1].

يفهم مما سبق أن الإنسان الذي يقوم بواجباته الشرعية تجاه ربه، ولا يستطيع أن يداوم عليها لا يعد ذلك نفاقا؛ لأن الإيمان يزيد وينقص بالطاعات، فقال ابن أبي مليكة: " أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل "[2].

قال ابن قيم الجوزية: "واصفا حال الصحابة رضوان الله عليهم إذا ذكر النفاق كانوا أشد الناس خوفا منه"، ثم عد من أسبابه التي تنبت قي القلوب: " قد مُلئت قلوب القوم إيمانًا ويقينًا، وخوفهم من النفاق شديد، وهَمُّهم لذلك ثقيل، وسواهم كثير منهم لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، وهم يدّعون أن إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل"[3]

ونذكر هنا نماذج لخوف الصالحين من سلف الأمة من النفاق، كحال حنظلة _ رضي الله عنه_

1. يقول الحسن البصري _ رحمه الله_ :"ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق"[4] وما يحذر من الإصرار على النفاق والعصيان من غير توبة، لقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ آل عمران: ١٣٥

---

[1]النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن **الحجاج**،(67/17).

[2]البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر،(18/1)، اخرجة تعليقا في الإيمان.

[3]ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، (365/1).

[4]البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، (18/1)، اخرجة تعليقا في الإيمان.

2. وسئل أبو رجاء العطاردي: هل أدركت من أدركت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخشون النفاق؟ فقال: نعم إني أدركت منهم بحمد الله صدرا حسنا، وقد أدرك عمر بن الخطاب _ رضي الله عنه_ فقال: «نعم شديدا، نعم شديدا»[1].

3.وسمع بعضهم أبا الدرداء _رضي الله عنه_" يتعوذ من النفاق في صلاته، فلما سلم، قال له: ما شأنك وشأن النفاق؟ فقال: اللهم غفرا (ثلاثا) لا تأمن البلاء، والله إن الرجل ليفتن في ساعة واحدة، فينقلب عن دينه.

والآثار عن السلف في هذا كثيرة جدا، قال سفيان الثوري: "خلاف ما بيننا وبين المرجئة ثلاث، فذكر منها قال: نحن نقول: نفاق، وهم يقولون: لا نفاق". وقال الأوزاعي: "قد خاف عمر النفاق على نفسه، قيل له: إنهم يقولون: إن عمر لم يخف أن يكون يومئذ منافقا، حتى سأل حذيفة، ولكن خاف أن يبتلى بذلك قبل أن يموت، قال: هذا قول أهل البدع، يشير إلى أن عمر كان يخاف النفاق على نفسه في الحال، والظاهر أنه أراد أن عمر كان يخاف على نفسه في الحال من النفاق الأصغر، والنفاق الأصغر وسيلة إلى النفاق الأكبر"[2].

4. وسئل الإمام أحمد: ما تقول فيمن لا يخاف على نفسه النفاق؟ فقال: "ومن يأمن على نفسه النفاق؟ ". وكان الحسن يسمي من ظهرت منه أوصاف النفاق العملي منافقا، وروي نحوه عن حذيفة.[3]

5.وقال إبراهيم التيمي _ رحمه الله _: "ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذبا".[4]

فالصحابة الكرام ومن جاء بعدهم من التابعين كانوا يخشون على أنفسهم من النفاق وآثاره، حتى لا يسلكوا طريق الذين باعوا دينهم بعرض من الدنيا، فإذا كان الصحابة ومن بشر منهم

---

[1] أبو نعيم الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، (ت: 430هـ)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، السعادة – مصر، 1394هـ، (307/2).

[2] زين الدين الحنبلي، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**، (492/2).

[3] المرجع السابق،(493/2)

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، (18/1)، اخرجة تعليقا في الإيمان.

بالجنة ويعمل عمل الآخرة ويرجو لقاء الله، يخاف على نفسه، من حيث الأعمال وملاطفة الزوجات وملاعبة الصبيان، إذن نرجو لأنفسنا الخير وحسن الظن بالله سبحانه وتعالى.

المبحث الثاني

الانفعال والحمية مع سلامة الصدر

لما بلغت حادثة الإفك ذروتها، أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يتخذ خطوات من شأنها أن تظهر الحقيقة، فشاور صلى الله عليه وسلم صحابته وزوجاته في أمر عائشة _رضي الله عنها_، ومن ثم خطب في الناس يستعذر منهم في شأن الرجل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر: «يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فوَ الله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي» فقام سعد بن معاذ الأنصاري، فقال: يا رسول الله أنا أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلا صالحا، ولكن احتملته الحمية، فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فتثاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا، وسكت"[1].

وما رد سعد بن عبادة على الأوسي إلا حمية لقومه، وليس دفاعا عن عبد الله بن أبي بن سلول أو نفاقا أو كفرا، ولكن فعله له دلالة، أنه سيد في قومه ومسؤول عنه، فلما أقسم أمام النبي صلى الله عليه وسلم والله لا تقتله، إنما كان يقصد من حلفه كيف لأوسي أن يقتل خزرجي وهو سيد مطاع في قومه.

قال ابن حجر: "قول بن معاذ إن كان من الأوس ضربت عنقه، إنما قال ذلك لأن الأوس قومه، وهم بنو النجار، ولم يقل في الخزرج لما كان بين الأوس والخزرج من التشاحن قبل الإسلام، ثم زال بالإسلام وبقي بعضه بحكم الأنفة، قال فتكلم سعد بن عبادة بحكم الأنفة ونفى أن يحكم

---

[1] البخاري، صحيح **البخاري**، كتاب تفسير القران، قوله باب لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا إلى قوله الكاذبون، رقم الحديث 4750،(101/6).

فيهم سعد بن معاذ وهو من الأوس، قال ولم يرد سعد بن عبادة الرضا بما نقل عن عبد الله بن أبي، وإنما بمعنى قول عائشة وكان قبل ذلك رجلا صالحا، أي لم يتقدم منه ما يتعلق بالوقوف مع أنفة الحمية ولم ترد أنه ناضل عن المنافقين"[1].

يستخلص من حادثة دفاع سعد بن عبادة عن عبد الله بن أبي بن سلول في حادثة الإفك بعض الحقائق الآتية:

1. مراعاة النبي صلى الله عليه وسلم للنزعة القبلية الجاهلية التي ما زالت في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم.

2. يفهم من قول الصحابي أن من آذى النبي صلى الله عليه وسلم يقتل، حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر عليه ذلك.

3. عدم نصرة النبي صلى الله عليه وسلم والإحجام عنها بقصد، يعد من النفاق.

4. وجوب التعامل مع المنافقين، المتقلبين في أقوالهم وأفعالهم وولاءاتهم بحذر شديد؛ لأنهم يشكلون خطراً دائما على الأفراد والجماعات.

[1] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**،(474/4).

المبحث الثالث

الخطأ العابر لمن له سابقة في الخير

بدأت سورة الممتحنة بمعاتبة الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة _ رضي الله عنه _ ، ومؤكدة في السياق نفسه بأنه من الذين صدقوا الله ورسوله ونصروا شرعه، ومحذرة له ولغيره من اتخاذ أعداء الله أولياء، يخلصون لهم بالمودة ، ويبلغونهم بأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأحوال المسلمين في المدينة ، وهم الذين كفروا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وأخرجوا المؤمنين من مكة، فلا تولوهم وتفضون إليهم بالمودة سرا ، والله عليم بما أخفيتم وأسررتم، ومن يفعل ذلك فقد ضل سواء السبيل، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١﴾ الممتحنة: ١

أطلع الوحي النبي صلى الله عليه وسلم بشأن حاطب بن أبي بلتعة _ رضي الله عنه_ في شأن إرساله رسالة إلى مشركي مكة، مع امرأة مشركة، فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن طلب من علي _ رضي الله عنه– وبعض الصحابة اللحاق بها، «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها امرأة من المشركين، معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين» ، فأدركناها تسير على بعير لها، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلنا: الكتاب، فقالت: ما معنا كتاب، فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتابا، فقلنا: ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها، وهي محتجزة بكساء، فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: يا رسول الله، قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنقه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما حملك على ما صنعت» قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمنا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صدق ولا تقولوا له إلا خيرا» فقال عمر:

إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني أضرب عنقه، فقال: «أليس من أهل بدر؟» فقال: " لعل الله اطلع إلى أهل بدر؟ فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة، أو: فقد غفرت لكم " فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم[1].

لقد قام حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه بإفشاء سر عسكري خطير للدولة الإسلامية الناشئة في المدينة المنورة، وكان من الممكن أن يهدد أمن واستقرار المدينة المنورة بفعلته هذه، لكنّ النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه، لأنه شهد بدرا وكان صادقا في حقيقة أمره على الرغم من خطورة عمله.

قال النووي: "في هذا معجزة ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه هتك أستار الجواسيس، بقراءة كتبهم، سواء كان رجلا أو امرأة، وفيه هتك ستر المفسدة إذا كان فيه مصلحة أو كان في الستر مفسدة، وإنما يندب الستر إذا لم يكن فيه مفسدة، ولا يفوت به مصلحة، وعلى هذا تحمل الأحاديث الواردة في الندب إلى الستر، وفيه أن الجاسوس وغيره من أصحاب الذنوب الكبائر لا يكفرون بذلك، وهذا الجنس كبيرة قطعا، لأنه يتضمن إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم، وهو كبيرة بلا شك لقوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٧ – ٥٨، وفيه أنه لا يحد العاصي ولا يعزر إلا بإذن الإمام، وفيه إشارة جلساء الإمام والحاكم بما يرونه، كما أشار عمر بضرب عنق حاطب"[2].

ونجد أن موقف عمر بن الخطاب _ رضي الله عنه _ كان شديدا وحريصا على مصلحة المسلمين، واعتبر ذلك خيانة لله ولرسوله، " فقال عمر دعني يا رسول الله فأضرب عنقه، إنما قال ذلك عمر مع تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب فيما اعتذر به، لما كان عند عمر من القوة في الدين وبغض من ينسب إلى النفاق، وظن أن من خالف ما أمره به رسول الله صلى

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، رقم الحديث3983، (77/5).

[2] النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**،(55/16).

الله عليه وسلم استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن في قتله، وأطلق عليه منافقا لكونه أبطن خلاف ما أظهر وعذر حاطب ما ذكره فإنه صنع ذلك متأولا أن لا ضرر فيه"[1].

عفا النبي صلى الله عليه وسلم عن حاطب، لأنه صدق في مقالته وشهد بدرا، وطلب من الصحابة ألا يذكروا أخاهم حاطب بن أبي بلتعة _رضي الله عنه_ إلا خيرا فقال: «صدق ولا تقولوا له إلا خيرا»

وقد اجتمع في موقفه صلى الله عليه وسلم من تصرف حاطب موقفان، موقف رحمة وموقف عدل، يقول الدكتور راغب السرجاني في مقالة له: "إن العدل قد يقتضي أن يُعَاقَب حاطب بن أبي بلتعة بصورة أو بأخرى، ولكنَّ الرحمة تقتضي النظر إلى الأمر بصورة أشمل، فنرى مَن الذي فعل الفعل، وما تاريخه، وما سوابقه المماثلة، وما أعماله السالفة، وهل هو من أهل الخير أم من أهل الشرِّ، وما الملابسات والخلفيات لهذا الحدث ، وإن العلاج العاقل يقتضي كظم الغيظ، والتدبُّر في رويَّة وهدوء، إن الرحمة تقتضي عدم الانسياق وراء عاطفة العقاب، وتلتزم بالبحث الحثيث عن وسيلة تُخرج صاحب الأزمة من أزمته، فالعدل درجة عظيمة.. ولكن الرحمة أعظم، فالفرق بين الاثنين تلاحظه في قول الله تَعَالَىٰ:﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴿٤٥﴾ ﴾ [فاطر: ٤٥]، فمن العدل أن يأخذ الله عباده بذنوبهم، ومن الرحمة أن يؤخِّرهم إلى أجل مسمى، وتلاحظ أيضا الفرق بين الاثنين في قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٠] ، فمن العدل أن يصيب اللهُ الناسَ بعقابه على كل خطأ يكسبونه، ومن الرحمة أن يعفو عن كثير"[2].

الأمر الذي اقترفه هذا الصحابي الجليل (حاطب) ليس بالأمر اليسير، إنه كشف لأسرار الدولة المسلمة، ثم هذا الصحابي ليس من العوام، بل هو من أهل الفضل منهم، فقد شهد بدراً،

---

[1] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (634/8).

[2] مقالة الدكتور السرجاني، http://islamstory.com/ar تاريخ 15-8-2016.

ومع ذلك عفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم ليس إقرارا له، بل ليصحح المسار، ويعدّل السكة، ويصير الولاء لله – سبحانه وتعالى– .

المبحث الرابع

التقصير في بعض الواجبات من قبل أصحاب الفضل

يصبح الجهاد فرض عين على المسلمين، عندما يكون هناك خطر يهدد المسلمين وكيانهم، ولذلك لا يجوز التخلف عنه إلا لعذر شرعي. فالنبي صلى الله عليه وسلم عندما كان يعلن الجهاد لم يكن ليتخلف عنه أحد، إلا أهل الأعذار الشرعية أو أهل النفاق، أما المؤمنون فقد كانوا يفرحون بالخروج للجهاد في سبيل الله.

وفي غزوة تبوك تخلف ثلاثة رجال: كعب بن مالك، ومرارة بن ربيع، وهلال ابن أبي أمية، عن الغزو مع الرسول صلى الله عليه وسلم، مع إعلانه حالة النفير العام، من غير عذر شرعي ولا نفاق.

تخلف الصحابة الثلاث عن الغزوة، في زمن الحر والشدة، ورغم فداحة ذنبهم وعظمته، تجاوز الله عنهم وغفر لهم، لأنهم صدقوا مع أنفسهم ومع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ولم يخادعوه ولم يأتوا بأعذار واهية، بل صدقوا واعترفوا بتخلفهم، وعادوا إلى الله تائبين مستغفرين فتاب الله عليهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨ ﴾ [التوبة: ١١٨]

فسّر كعب بن مالك _ رضي الله عنه_ التخليف هنا "بمعنى الإرجاء وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو، إنما هو تخليفه إيانا، وإرجاؤه أمرنا، عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه"[1]

الأسباب التي دفعت الثلاثة للتخلف عن غزوة تبوك كانت أسبابا دنيوية، تمثلت في اجتماع الأهل ونضج الثمار وتردد أحدهم، فالسبب لم يكن مخالفة الرسول أو الارتداد عن دين الله سبحانه وتعالى، وهذا نص يبين الأسباب التي دفعتهم للتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وأما أولهم وهو مرارة بن الربيع فإن سبب تخلفه أنه كان له حائط بستان جميل، وكان في ذلك

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب كعب بن مالك رقم الحديث 4418،(3/6).

الوقت قد أزهر وأينع وأثمر، فصار ينظر إليه ويتردد هل يذهب مع الرسول أو يبقى مع حائطه حتى فاته الغزو. وأما الثاني وهو هلال بن أمية فكان له أهل قد تفرقوا، ففي ذلك الوقت اجتمع أهله وجمع من أقاربه في المدينة، فأحب أن يمكث معهم ويأنس بهم، وتردد في الذهاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فاته الغزو. وأما الثالث وهو: كعب بن مالك فإن سبب تخلفه هو التردد، فقد كان كل مرة يريد أن يتأهب، ثم يحاول أن يتأهب فما يصنع شيئاً، فيعود مرة ثانية، وهكذا في اليوم الأول والثاني والثالث حتى فاته الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم"[1].

قال كعب بن مالك:"لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحدا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد"[2].

وبدأ الصراع بين كعب بن مالك _ رضي الله عنه_ و بين نفسه، فيما سيخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبب تخلفه، أيصدق أم يكذب عليه لينجو من تخلفه عن الغزوة، فيقول كعب بن مالك رضي الله عنه في نفسه: "فلما عاد الرسول صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما زاح عني الباطل، وعرفت أني لن أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما، وكان إذا قدم من سفر، بدأ بالمسجد، فيركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله"[3].

فعزمت الذهاب إلى رسول الله، وأحدثه بما حصل لي من غير كذب أو نفاق، " فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال: «تعال» فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلفك، ألم تكن قد ابتعت ظهرك». فقلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلا، ولكني والله، لقد علمت لئن حدثتك اليوم

---

[1]. http://www.traidnt.net/vb/traidnt1699966 بتاريخ20-9-2015

[2]. البخاري،**صحيح البخاري**،كتاب المغازي،باب قصة غزوة بدر، رقم الحديث3951(72/5)

[3]. البخاري،**صحيح البخاري**،كتاب المغازي،باب كعب بن مالك رقم الحديث،4418(3/6)

حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق، تجد علي فيه، إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله، ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك» وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا، ولقد عجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر إليه المتخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك، فوَ الله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي[1].

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بعدم التكلم أو التعامل مع كعب وصاحبيه، ومن ثم أمرهم باعتزال زوجاتهم، " فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا، من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا، حتى تنكرت في نفسي الأرض، فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا، فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه، وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟ وإذا برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها؟ أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك، فتكوني عندهم، حتى يقضي الله في هذا الأمر"[2].

ويذكر كعب بن مالك ذروة الابتلاء، عندما أرسل ملك غسان رسالة إلى كعب بن مالك _رضي الله عنه_ قال: "فبينما أنا أمشي بسوق المدينة، إذا نبطي من أنباط أهل الشام، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدل على كعب بن مالك، فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إلي كتابا من ملك غسان، فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم

---

[1]. البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب كعب بن مالك رقم الحديث،4418، (3/6)

[2]. البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب كعب بن مالك رقم الحديث4418، (3/6).

يجعلك الله بدار هوان، ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك، فقلت لما قرأتها: وهذا أيضا من البلاء، فتيممت بها التنور فسجرته بها، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين"[1].

أزاح الله الغمة المحزنة عن هؤلاء الصحابة الثلاث، بعدما كادوا يقعون في الهلاك، بسبب تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، فعلموا أنّ الملجأ من الله لا يكون إلا بالعودة إليه، فاستجاب الله لهم ،وغفر زلتهم، يقول كعب بن مالك _رضي الله عنه_ : "حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله، قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ، أوفى على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، قال: فخررت ساجدا، وعرفت أن قد جاء فرج، وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك»، قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟ قال: «لا، بل من عند الله». وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر، قال كعب مالك "فوَ الله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام، أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أن لا أكون كذبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي"[2]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ التوبة: ٩٥

هؤلاء الثلاثة (الذين تخلفوا عن غزوة تبوك) مؤمنون صادقون، تخلفوا لأسباب غير النفاق، فلما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذر المنافقون كذبا، وقبل الرسول صلى الله عليه وسلم أعذارهم، أما هؤلاء الثلاثة، فإنهم صدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: يا رسول الله! ما

---

[1]. البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب كعب بن مالك رقم ال حديث4418، (3/6).

[2]البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القران، {سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم، فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون}، رقم الحديث4673، (68/6).

لنا من عذر؛ فعاتبهم صلى الله عليه وسلم وعتب عليهم، وما ذاك إلا لأنهم مؤمنون، فلا ينبغي أن يحدث منهم ما يحدث من المنافقين، ويُقبل من تصرفهم كما يقبل من المنافقين، ولكن بعد أن جرى ما ذكرناه من الهجر، قبل الله توبتهم، وأنزل فيهم قرآنا، وفرح بتوبتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وخير ما يسجل هنا استخلاصا من الحادثة، أنّ الصدق مناجاة، فلولا الصدق ما نجا كعب بن مالك وصاحباه، وينبغي للمؤمن ألّا يداني المنافق في تصرفه، وبعد الكرب يأتي الفرج، وأعداء الإسلام يتربصون بالإسلام، تأمل في موقف غسان ترى ذلك جليا.

الفصل السادس

النفاق في الواقع المعاصر

المبحث الأول: النفاق الاجتماعي

المبحث الثاني: النفاق السياسي

المبحث الثالث: النفاق الإعلامي

المبحث الأول

النفاق الاجتماعي

النفاق الاجتماعي هو قيام طائفة من الناس بالأعمال أو التصرفات التي لا تؤمن بها، من أجل الحصول على رضا ومحبة الآخرين، حتى ولو كانت هذه الأعمال مخالفة للشرع.

النفاق الاجتماعي مرض توغل في جسم الأمة، فأصابها في كافة مناحي حياتها اليومية والسلوكية، وللأسف أصبح ديدن حياة الناس في أغلب أوقاتها، وهو أقصر وأسهل طريق للوصول إلى الغايات وتحقيق الأهداف.

التملق للآخرين بالمدح والثناء من أجل الحصول على مغنم دنيوي، أو وظيفة أو التقرب من مسئول رفيع، هو داء هذا العصر بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، المنافق ليس له شخصية واضحة المعالم، شخصيته تتقلب وتتلون حسب الوقائع والأحداث، فلا يجعل له نهجا ثابتا ولا موقفا واضحا؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥﴾ البقرة: ٢٠٤ – ٢٠٥

وليس المقصود من النفاق الاجتماعي المجاملة والمداهنة الحسنة، فبينهما فرق دقيق وعميق، مرجعه نية الإنسان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»[1]، بمعنى من كانت غايته أو هدفه مغنم دنيوي، فهذا هو النفاق، وأما من أراد أن يكسب ود ورضا الناس، ومحبتهم بعد رضوان الله سبحانه وتعالى، فإنها مجاملة خير ومودة، وهو ما نلمس بعضه في تصرفات الناس على مواقع التواصل الاجتماعي، أما السكوت عن الحق والرضا بالباطل والتنازل عن الحقوق والواجبات تلك هي المداهنة التي لا يقبل بها الشرع.

---

[1] . البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، رقم الحديث1، (6/1)

ومن صور النفاق الاجتماعي:

1. إظهار المودة والمحبة للأطراف المختلفة، سواء كانوا جارين متخاصمين أو طائفتين متنافرتين، فيظهر المودة والألفة للطائفة الأولى، ويقدح بالأخرى، وكذلك يفعل إذا ذهب إلى الطائفة الأخرى، والهدف من وراء ذلك الاطلاع على أسرار الآخرين، ومن عادة الناس أنهم يظهرون أسرارهم لمن يأمنون جانبه، ويحسنون فيه الظن؛ والمنافق لا يتمكن من ذلك ألا بإظهار الوفاء والولاء لهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تجد من شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه"[1].

2. التملق للرؤساء، والمسئولين الكبار في الدولة، والتقرب إليهم بالهدايا: وهذا من أخطر أنواع النفاق الاجتماعي؛ لأن بيد هؤلاء السلطة والقوة، وهي أدوات تغري الغافلين للانجرار وراءهم، وذلك بتلبية طلباتهم من أجل التقرب إليهم والحصول على مكاسب دنيوية زائلة، نجد ذلك جليا بين الموظفين الذين يتنافسون على وظيفة كبيرة أو ترقية ما، فيمارسون شتى أساليب النفاق والتلون من أجل الوصول إلى أهدافهم، وهذا أمر في غاية الخطورة، وهو محرم شرعا، وخير شاهد على ذلك عندما استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الأسد، يقال له: ابن اللتبية على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا لي، أهدي لي، قال: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: " ما بال عامل أبعثه، فيقول: هذا لكم، وهذا أهدي لي، أفلا قعد في بيت أبيه، أو في بيت أمه، حتى ينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفس محمد بيده، لا ينال أحد منكم منها شيئا، إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه بعير له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر[2]، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه[3]، ثم قال: «اللهم، هل بلغت؟»[4].

---

[1] . البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب ما قيل في ذي الوجهين، رقم الحديث6058، (18/8).

[2] . تيعر :أي تصيح، ابن منظور، **لسان العرب**، (301/5)

[3] .عفرتي: العفرة بياض ولكن ليس بالبياض الناصع الشديد. ولكنه كلون عفر الأرض وهو وجهها؛ ومنه الحديث: كأني أنظر إلى عفرتي إبطي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ابن منظور، **لسان العرب**، (585/4)

[4] . الإمام مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الامارة، باب تحريم الهدايا للعمال، رقم الحديث1832،(1463/3)

3. المديح الزائف والتملق، ومثال ذلك: كأن يقوم أتباع شيخ برفع مقامه، حتى يصبح خيرَ مَن ولدت البشرية، وعلمه بلغ كل أصقاع العالم، فيصدّق نفسه، حتى يصل به الأمر إلى العجب والتيه، ومثل هذا الأمر بطانة السياسي، توهمه بأنه قائد الأمة الملهم، ومن دونه لا يُصلح اللهُ سبحانه حال الأمة، وهو محبوب الجماهير، وجميع أفراد الأمة يدعون له صباحاً ومساءً، وان عدله وكرمه وخيره قد وصل إلى الأمة جمعاء، فيصدق ذلك حتى يصل به الأمر إلى التكبر والجبروت، قال عبد الله بن مسعود: "الهلاك في شيئين: العجب والقنوط. وإنما جمع بينهما لأن السعادة لا تنال إلا بالطلب والتشمير، والقانط لا يطلب، والمعجب يظن أنه قد ظفر بمراده فلا يسعى"[1].

4. المناسبات الاجتماعية حيث تعتبر من أكثر مظاهر النفاق الاجتماعي انتشارا في المجتمع، ولها صور متعددة، وبطبيعة الحال ليس كل هذه الصور إذا وجدت فإنها تعني النفاق الاجتماعي ولكنّها تحتل نسبة لا بأس بها من تصرفات الناس، كما يظهر ذلك من استقراء نماذج متعددة، ومن أبرز هذه الصور:

أ. التهاني الأسبوعية، وشكر الشخصيات السياسية والاعتبارية في الوسائل الإعلامية، سواء كانت مقروءة أو مسموعة محبة لهم وتوداً إليهم.

ب. مظاهر الإسراف والتبذير في الأعراس، والمناسبات الاجتماعية من أجل الحصول على الإطراء والمديح الزائف.

ج. الزيارات العائلية، للتهنئة بالمولود أو النجاح أو بناء البيت أو الزواج وغيرها.

د. مواقع التواصل الاجتماعي، حيث تظهر فيها عبارات الإطراء والإعجاب بين الناس، كأنهم جسد واحد، ولكنّ الواقع مرير وللآسف.

---

[1] . ابن قدامة المقدسي، نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (ت: 689هـ)، **مختصر منهاج القاصدين**، مكتبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق، سنة النشر 1398هـ، (234/1).

هـ. في الواقع الأكاديمي، نجد الطلبة يتقربون من مدرسيهم بعبارات الحب والوفاء، أملا في الحصول على المكانة والعلامة المناسبة، وكذلك في الواقع الطبي بإظهار أعلى مستويات الاحترام رغبة في خدمة طبية مميزة.

ولعل من أهم أسباب ظهور هذا النوع من النفاق هو مبالغة الناس في العلاقات الاجتماعية، وجعل المناسبات الاجتماعية(زواج، وفاة، تخرج ...) ميدانا للتبختر والتباهي في المأكل والمشرب والملبس والمركب، هذا بالإضافة إلى عدة دوافع نوجزها فيما يلي:

1. قبول الخطأ من الآخرين، مع عدم الإقدام على نقده، أو حتى إظهار موقفه الحقيقي، يظن بفعله أنه يلقى القبول عند الآخرين.

2. إظهار أعلى درجات الود والمحبة والوفاء للآخرين، رغم أنه يرفضهم، وينام ويستيقظ على بغضهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ المنافقون: ٤

3. الضعف والهزيمة الداخلية، لعدم مقدرته على تحقيق أي إنجاز في حياته العملية، فيلجأ إلى مصاحبة الناجحين والمتميزين، ويتقرب منهم ويشجعهم على السير نحو الهدف المنشود، مع أنه عدو لكل متميز وناجح.

4.العلاقة مع الآخرين تكون مبنية على المصلحة، من أجل تحقيقها يظهر الود والمحبة والألفة، لكن إن توقفت المصالح وانقطع الخير عنه تراه خاصم وفجر، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ الحج: ١١

يتبن مما سبق أن وجود آفة النفاق الاجتماعي بكافة صورها وأعراضها تشكل خطرا حقيقيا على بنيان المجتمع المسلم، تشتت شمله، وتضيع أوراق القوة لديه، لذلك لا بد من علاج يساعد المجتمع على إعادة مكانته وترميم لبناته.

هذه بعض وسائل العلاج لهذا المرض (النفاق الاجتماعي) المنتشر في مجتمعنا:

1.استشعار الرقابة الداخلية مع الله سبحانه وتعالى، والسعي إلى مرضاة الله، والإعراض عن ملهيات الدنيا، فهي لا تعدل شيئا في ميزان الله سبحانه وتعالى، فالآخرة خير وأبقى،قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ التوبة: ١٠٥

2. إنكار المنكر، والعمل على تغيره، بشتى الوسائل التي تتناسب مع الشخص، دون أن يكون لها أي تأثير على زيادة المنكر، أو الإصرار عليه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1].

3.الأمر بالمعروف بالتي هي أحسن، وذلك بإسداء النصيحة المهذبة بشوطها، فلا تجرح المشاعر، ولا تؤذي الآخر، قال النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[2]

4.الاعتدال في مدح الآخرين، وإعطاء كل ذي حق حقه، بحيث لا ينسب للشخص ما ليس فيه، مدح رجل عثمان، فعمد المقداد فجثا على ركبتيه، وكان رجلا ضخما، فجعل يحثو في وجهه الحصباء، فقال له عثمان: ما شأنك؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا رأيتم المداحين، فاحثوا في وجوههم التراب»[3].

5.تزكية النفس وتطهيرها من البغض والحسد، ويجب تمني الخير للجميع، وبذلك تنهض الأمة، وتزول الغمة عنها، وتستعيد عافيتها، قَالَ تَعَالَى:﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ ﴾ البقرة: ١٥١

---

[1] . الإمام مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم الحديث49،(69/1)

[2]. الامام مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان ان الدين النصيحة، رقم الحديث55، (74/1)

[3] . لامام مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح وان كان فيه، رقم ال حديث3002،(2297/4)

قال الغزالي: "ذو اللسانين من يتردد بين متعاديين ويكلم كلا بما يوافقه، وقل من يتردد بين متعاديين إلا وهو بهذه الصفة، وهذا عين النفاق"[1].

إذا لم ينفع العلاج السابق، لابد من طريقة للتعامل تكون ذا خطوات واضحة، مثل:

1.إشعار المنافق الذي تتعامل معه أنه منافق، يظهر خلاف ما يبطن، من خلال تعابير وجهك، أو نبرات كلامك، أو نظرات عينيك، أو استهجانك لتصرفاته، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ المنافقون: ١

2.عدم إبداء أي تجاوب حقيقي، سواء بالرضا أو الضحك أو الإيماء بالموافقة على أقوالهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ القصص: ٥٥

3.وفي حالة كشف القناع عن المنافق فلا ريب من مواجهته ومطالبته بتفسير مواقفه وتصرفاته، فحادثة رجل الذي أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، اعدل، قال: «ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل» فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني، يا رسول الله فأقتل هذا المنافق، فقال: «معاذ الله، أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية»[2].

4.تجنب الجلوس مع المنافقين، وترك أماكن تواجدهم، من باب تقليل سوادهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ الأنعام: ٦٨

---

[1] . ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (ت: 974هـ)، **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، دار الفكر، ط1-1407هـ،(2 /40)

[2] . الإمام مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم الحديث1063،(740/2)

المبحث الثاني

النفاق السياسي

يوجد ألوان عدة من النفاق في المجتمع، منها النفاق الاعتقادي ، والنفاق العملي والنفاق السياسي والنفاق الاجتماعي، ومهما تنوعت أسماء النفاق فمعناه واحد، وهو إظهار الإيمان وإبطان الكفر، أو إظهار الحق وإسرار الباطل، وكذلك مهما تعددت ألوان النفاق فعناصره واحدة، لا تتغير بتغير المكان والزمان، وهي التي وردت في الحديث النبوي الشريف، قال عليه الصلاة والسلام: "أربع من كن فيه كان منافقا خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر وإذا عاهد غدر"[1]، هذه هي عناصر النفاق وخصاله ثابتة لا تتغير، قد تتغير أساليب النفاق ووسائله وهي كثيرة ، تتداولها وسائل الإعلام المختلفة من صحف ومجلات وقنوات فضائية وغيرها ، وأخطر ألوان النفاق وأكثرها ضررا على البشرية هو النفاق السياسي.

تجد في العهد النبوي بداية للنفاق السياسي؛ حيث يذكر التاريخ مواقف للمنافقين في المدينة المنورة، ودورهم في التضليل والكذب والخداع، من أجل تحقيق غاياتهم وأهدافهم في المجتمع.

الموقف الأول:

تجد النفاق السياسي قد ظهرت آثاره في العهد النبوي على يد المنافقين في علاقتهم مع إخوانهم الكفار (يهود بني النضير)، حيث أبدى المنافقون شتى أنواع الدعم والتأييد والدفاع عن أخوانهم اليهود، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ الحشر: ١١ – ١٢

[1] . البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المظالم والغصب، باب إذا خاصم فجر، رقم ال حديث2459،(131/3)

فأظهر المنافقون موقفهم السياسي داخل المدينة حينما مالوا في ميزانهم إلى اليهود في غزوة بني نضير، والدافع إلى ذلك تحقيق الغايات والمصالح الشخصية، وليس الحفاظ على الاستقرار داخل المدينة.

الموقف الثاني:

تجد ذلك جليا في موافقة أتباع أبي بن سلول في قراره بالانسحاب من غزوة أحد؛ عندما أقنع من كان معه أنه لن يحدث قتال فاستجابوا له على قناعة منهم أنهم يفعلون الصواب وذلك تقربا له، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ ﴾ النساء: ٨٨

فأظهر عبد الله بن أبي بن سلول موقفه السياسي اتجاه أهل المدينة، أنه لا يرغب في المواجهة الصريحة مع أعداء المدينة؛ لأنه يخشى الدوائر ويترقب الأحداث، لإعادة التوازنات، سواء مع أهل المدينة أو الأعداء بعد كل حدث عظيم.

الموقف الثالث:

قيام بعض المنافقين في غزوة الخندق بالتهرب من المعركة بحجة أن بيوتهم عورة، وهذا الموقف لم يكن له مرجعية قيادية، ولكن الأمر كان ملفتا للنظر، وأربك ساحة المؤمنين على كل الأصعدة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ الأحزاب: ١٣

كما أن هذا الأمر تكرر في غزوة تبوك حينما تحجج المنافقون بالحر وبعد المسافة وقوة العدو، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ التوبة: 81 أو الوقوع في فتنة النساء، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ التوبة: ٤٩ .

إنّ وقوع مثل هذه الأحداث في أي ساحة كفيل بحدوث فوضى عظيمة، تسعى الى تدمير البنية التحتية لتماسك أي مجتمع وخاصة إن كان هذا المجتمع جديدا.

النفاق السياسي له دواعيه في واقعنا المعاصر، من شيوع القيم النفعية وتحقيق المصالح الشخصية واستخدام أساليب الكذب والمراوغة والتذبذب في المواقف، قَالَ تَعَالَى: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ١٤٣﴾ النساء: ١٤٣. والتناقض في الادعاء بين القول والفعل والممارسة، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾ الصف: ٢ -٣، فهذه الأخلاق قامت مقام القيم النبيلة، كالصدق والأمانة والثقة والوفاء بالعهود، وروح المسؤولية والالتزام وخدمة المصالح العامة وخدمة الناس.

لقد أصحبت قيم النفاق السياسي شائعة في العالم المعاصر، وما المواقف السياسية للدول والأقطار والتحالفات والجماعات والجمعيات والفضائيات قبل وصول الإسلاميين لسدة الحكم وبعده إلا مثال واضح على ذلك، فكم تمسك وتشدق الغرب وأمريكيا بما يسمى بالديمقراطية، وكم أعلنوا أنّها سمتهم التي لا يباريهم ويجاريهم فيها أحد، ومع ذلك دعموا قادة مستبدين لم تعرف شعوبهم الحرية يوما واحدا، ورفضوا نتائج صناديق الاقتراع التي أفرزت الإسلاميين بكل نزاهة وشفافية، فعندما فازت الجبهة الإسلامية للإنقاذ بالانتخابات البرلمانية الجزائرية عام 1992، وتدخل الجيش وفرض حظرا على الجبهة، أبدت غالب العواصم الغربية ارتياحها من تصرفات الجيش التي لا تمت للديمقراطية بصلة، وإذا كان النفاق يعني إظهار شيء وإضمار ضده، فإنّ هذا التعريف ينطبق بكل حذافيره على السياسية في العالم المعاصر.

وظهر النفاق السياسي أكثر وضوحا على الساحة الفلسطينية في الأراضي المحتلة، فبعد فوز حماس بالانتخابات عام 2006 رفض مسئولو الدول التي تدعي الديمقراطية لقاء ممثلي الحركة المنتخبين والقادمين من صناديق الاقتراع، وتذرعوا بحجج وأقاويل باطلة وواهية، مثل قولهم: إنّ حماس لن تترك السلطة، ولا تعترف بإسرائيل، وهي تشكل خطرا حقيقيا على دول الجوار.

وكشفت الأحداث المتتابعة في مصر بعد سقوط الرئيس حسني مبارك عن النفاق السياسي بكل صوره وأشكاله، فقد سار الجيش جنبا لجنب مع المتظاهرين في ميدان التحرير ضد الرئيس

محمد مرسي المنتخب من قبل الشعب، لاقى هذا الأمر (سير الجيش) ترحيبا عربيا ودوليا، ودائما الحجج والأعذار موجودة وهي نفسها التي قيلت عند فوز حماس وجبهة الإنقاذ.

ولم يشفع للإسلاميين تصرفهم الرامي إلى تحسين صورتهم في العالم، عندما تنازلوا طواعية عن السلطة في تونس، لإنهاء المأزق السياسي، وبقت التهم تلاحقهم جُزافا كلما انتخبهم الجيش.

ومثل هذه الصور المتناقضة نجدها في مواقف عواصم العالم الغربي في القضية السورية، فالعالم الغربي ينتقد استبداد بشار الأسد السفاح المجرم، ومع ذلك يسعى لعدم سقوط نظام بشار خوفا من تولي الإسلاميين الحكم.

ويبلغ النفاق السياسي منتهاه عندما تجد الأمريكان والغربيين وبعض الدول العربية لم تمل من الحديث عن مظالم النظام السوري ولكنّهم لم يتوانوا لحظة واحدة عن قصف كل ما هو إسلامي في العراق والشام.

المبحث الثالث

النفاق الإعلامي

الماكنة الإعلامية لم تتوقف يوما على مدار الزمن، فالإعلام هو الوسيلة التي يعرف بها الناس أحوالهم وأخبارهم، وعلى أساسها يقيمون أحوالهم، ويدبرون شؤونهم، سواء أكانت خيرا أم شرا، والمدينة المنورة ليست بعيدة عن هذه الدائرة، وإن كانت الصورة العامة للإعلام بذلك الوقت لم تظهر بالشكل المعهود في وقتنا الحاضر.

استخدم المنافقون الوسائل الإعلامية، لنقل الكلام بين الناس، ونشر الإشاعات، والتثبيط والتخذيل في وقتي الحرب والسلم. ومن ذلك:

لنموذج الأول: التعرض لشخص النبي صلى الله عليه وسلم من خلال حادثة الأفك.

لما أشيع الخبر، تولى عبد الله بن أبي بن سلول الحملة الإعلامية في تشويه سمعة _عائشة رضي الله عنها_ أولا. ومقام الرسول صلى الله عليه وسلم ثانيا، والصحابي صفوان بن المعطل_ رضي الله عنه_ ثالثا، وحين بلغ أذاه إلى حد كبير لا يطاق، خرج النبي صلى الله عليه وسلم عن صمته، مبينا حقيقة ما يتناقله الناس، قال صلى الله عليه وسلم :" من يعذرنا في رجل بلغني أذاه في أهل بيتي، فَوَ الله ما علمت من أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا"[1] . قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١﴾ النور: ١١

النموذج الثاني: ضرب الروح المعنوية للجيش في غزوة الأحزاب.

تحرك الطابور الخامس في غزوة الخندق مبكرا، وذلك بنشر الإشاعات بين صفوف المؤمنين، مفاد هذه الإشاعات أن بيوتهم مكشوفة، لا حماية لها، وهم في الحقيقة إنما يريدون الفرار خوفا على أنفسهم، ويريدون إثارة البلبلة بين المؤمنين ونشرها على نطاق واسع؛ قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ

[1]. البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا، رقم ال حديث2621، 173/3).

لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ الأحزاب: ١٣ ولم يكتف المنافقون بإسلوب الإشاعات والفرار وتعميمها، بل سعوا إلى التشكيك في نصرة الله لنبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ الأحزاب: ١٢ وكان صدى الموقف المتخاذل على المستوى الإعلامي كبيرا، حيث وصف الله عباده المؤمنين في تلك اللحظة؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ الأحزاب: ١٠ – ١١

النموذج الثالث: تعظيم القدرة القتالية للأعداء في غزوة تبوك.

سعى المنافقون ومنذ اللحظة الأولى، عند الإعداد لغزوة تبوك، إلى تعظيم القدرة القتالية لبني الأصفر، وكان سعيهم الإعلامي من أجل خلق صورة مرعبة عن قدرة الجندي الرومي في القتال، ناهيك عن بعد المسافة وشدة الحر؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَـٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ التوبة: ٨١ .

فانقلب السحر على الساحر، فكانت نتائج المعركة تؤكد تراجع الجيش الرومي، وتحالفت القبائل في منطقة تبوك، وعقدتْ المعاهدات مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان وقع المعركة على سمع العرب عامة والمنافقين خاصة كبيرا جدا، فقد كانت تبوك المواجهة الأولى بين العرب _ موحدين تحت راية الإسلام _ مع الروم،وسقطت هيبة الروم، وتوحدت بوصلة العرب تحت حكم النبي صلى الله عليه وسلم ، وأظهرت دولة الإسلام الى الواجهة السياسية، كقوة جديدة ومؤثرة ويحسب لها ألف حساب.

ومن نماذج النفاق الإعلامي في الوقت المعاصر:

النموذج الأول: صياغة الخبر ودوره في إثارة الرأي العام

من خلال الاطلاع على شاشات التلفاز تجد أن الخبر الواحد على عدة قنوات، يظهر بصور مختلفة وبزوايا متعددة؛ فتجد كل قناة تسوق الخبر بالطريقة التي تراها مناسبة، لأهدافها وفكرها، بغض النظر عن الحقيقة، فالإعلام بدوره إما أن يضخم الخبر، إذا كان لصالحه، أو يهونه ويصغره إذا كان ضده؛ ومن الأمثلة على ذلك، القنوات الحزبية، حيث تظهر قناة ما الخبر المؤيد لها على إنه إنجاز كبير، وترى خلاف ذلك على القناة المعارضة للحزب.

النموذج الثاني: صناعة الخبر من قبل أعداء الأمة والسعي لنشره.

تجد أن الغرب يسعى إلى نشر فكره السياسي، ورؤيته المستقبلية لمنطقة ما، وذلك من خلال محطاته المتلفزة أو الإذاعية في بلاد المسلمين، فالمشاهد أو المستمع أو القارئ يطلع على الخبر الواحد على أكثر من قناة؛ فيرى الفرق في العرض والأداء والأسلوب، وطريقة طرح القضية، ويعود السبب في ذلك إلى سياسة الدولة، التي ترعى تلك القناة، وتتبناها وتدعمها، فالصحفي _ وإن أظهر أنّه ينتمي لبلده ودينه_ على استعداد أن يناقض قيمه وأخلاقه من أجل تحقيق سياسة تلك القناة؛ ومن أبسط الأمثلة على ذلك إطلاق مصطلح قتيل أو إرهابي، على من يدافع عن دينه ووطنه من قبل بعض الفضائيات.

النموذج الثالث: دور الإعلام في تهيئة المجتمع لحدث كبير.

المحطات والإذاعات إن أرادت تمرير خبر وتعزيز وجوده بين الناس في المجتمع؛ تعمل على التمهيد له وطرحه ومناقشته تارة ونفيه تارة أخرى، ومن ثم نشر بعض الوثائق عنه حتى إذا طال الزمن، ووقعت الحادثة، يكون وقعها على الناس أمرا طبيعيا؛ فالطرح الذي تم مسبقا عبارة عن تخدير لعقول الناس، وبذلك يأمنون ردة الفعل من الناس؛ ومن الأمثلة الصارخة في إعلامنا الحالي، ما يجري في الإعلام عن تقسيم الأقصى زمانيا ومكانيا وفرض الأمر الواقع.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الذي بنعمته تتم الصالحات، نحمده سبحانه وتعالى حمد الشاكرين المقرين بنعمه وآلائه؛ على ما يسّر وسهّل وأعان على إتمام هذه الرسالة، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، وبعد:

فإنّ النفاق داء قديم، خاف منه الصالحون على أنفسهم، ولم يبالِ السقوطَ فيه ضعافُ النفوس، وقليلو الإيمان، فعندما يشمخ الإسلام قويا مانعا مؤثرا، فلا يسع المبغضين إلا تملقُهم ونفاقُهم، وهذا ما يجعلهم أخطر على الإسلام والمسلمين من الكفار والمشركين، ولذلك وجب معرفة صفاتهم وأساليبهم، وسبل التصدي لهم، من خلال معرفة المنهج النبوي الحكيم في التعامل معهم بالحزم تارة وباللين تارة أخرى.

وإنّ ممّا تم ملاحظته أثناء البحث والاستقراء أنّ هناك بعض الأمور والموضوعات الفرعية التي تم ذكرها في هذه الدراسة تشكل ظاهرةً بحد ذاتها، تستحق الدراسة والبحث، ولعلها تشكل وحدها دراسة علمية وافية.

ومن المفيد في ختام هذه الرسالة، وبعد البحث في آفاق كتب الحديث وشروحه، وكتب السيرة النبوية وكتب اللغة، وغيرها ممّا يتعلق بموضوع الرسالة، أن يتم إيراد أهم النتائج التي تم التوصل إليها في هذه الدراسة.

أهم النتائج التي تم التوصل إليها، وهي:

1. النفاق في الاصطلاح لا يخرج بصورة أو أخرى عن كونه إظهار الإيمان وستر الكفر.

2. ظهر النفاق بشقيه في العهد المدني ولم يظهر في العهد المكي وذلك لأن دواعي النفاق غير متوفرة في مكة.

3. يوجد صفات للمنافقين تظهر عليهم، ومنها (مرض القلوب وموالاتهم لأعداء الله ومعاداتهم للمؤمنين وبالإضافة إلى الإفساد في الأرض).

4. تعددت أساليب المنافقين لتشمل شتى مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

5. من أبرز منافقي المدينة الذين حاول أن يعيثوا فيها فسادا عبد الله بن أبي بن سلول.

6. يتجلى النفاق السياسي بالطبقة الخاصة بالمسؤولين الذين يتولون مناصب متقدمة في الدولة.

7. يترتب على وجود النفاق آثار كارثية على وحدة وتماسك أفراد المجتمع .

8. يؤدي النفاق دوراً خطيرا، حيث يساهم بشكل كبير في زعزعة استقرار المجتمع.

9. يبرز النفاق في المواقف الأكثر خطرا وحساسية على الأمة كما في غزوتي أحد والخندق.

10. تعامل النبي صلى الله عليه وسلم بأساليب مختلفة لعلاج ظاهرة النفاق ومن أهمها حثهم على التوبة وعدم قتلهم.

11. تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع المنافقين بحكمة في كل المواقف الحرجة والخطرة.

12. نجاة بعض الصحابة من شبهات النفاق وكان ذلك بسبب صدقهم مع الله سبحانه وتعالى، كحاطب وكعب _رضي الله عنهما_.

13. يمكن للفرد حماية نفسه من الوقوع في النفاق من خلال زيادة إيمانه والابتعاد عن صفات وأساليب المنافقين.

14. تستطيع الأمة حماية نفسها من النفاق، من خلال التربية الإيمانية لأفراد الأمة، وجهاد المنافقين بالحجة، والإغلاظ عليهم بكل جرأة وشجاعة، لتطهير الأمة منهم.

16. يعد نفاق عبد الله بن أبي بن سلول نموذجا فريداً لا مثيل له، بما امتلك من صفات مكنته من أن ينافق في المدينة.

17- يعد النفاق الاجتماعي من أكثر أنواع النفاق انتشارا، كما ظهر ذلك من خلال الفصل الأخير.

18- يعد النفاق السياسي من أخطر أنواع النفاق فتكا بالأمة.

19- يعد النفاق الإعلامي من أبرز وسائل نشر الثقافة القاتمة، وهو من أشد أنواع النفاق تأثيرا في النفوس وعلى الأمة.

التوصيات:

1- يحبذ استكمال هذه الدراسة بشكل أوسع من الناحية القرآنية والحديثية والاجتماعية.

2- تدريس هذه الرسالة ضمن الدراسات المتخصصة في النفاق المعاصر.

3- تدريس هذه الرسالة ضمن مواد الكلية.

4- تحليل شخصية عبد الله بن أبي بن سلول في دراسة متخصصة ومستقلة، وبيان أثرها السلبي الكبير على المدينة، وخطر وجود شخصيات مماثلة في العصر الحالي.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن الأثير (ت: 606هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المكتبة العلمية – بيروت، ط/1–1399هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي –محمود محمد الطناحي.

- الأزهري، محمد بن احمد الأزهري الهروي (370) **تهذيب اللغة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط1 / 2001.

- برهان الدين، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (ت: 1044هـ)، **السيرة الحلبية**، دار الكتب العلمية – بيروت/2–1427هـ.

- ابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (449) **شرح صحيح البخاري لابن يطال**، مكتبة الرشد، السعودية ط1423/2.

- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ)، **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودي.

- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر1416هـ.

- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816هـ)، كتاب **التعريفات**، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان/1–1403هـ.

- الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911هـ)، **تفسير الجلالين**، دار الحديث – القاهرة.

- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، دار الوطن – الرياض، المحقق: علي حسين البواب.

- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، دار العلم للملايين – بيروت/4–1407هـ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار.

- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (ت: 852هـ)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، دار الكتب العلمية – بيروت/1–1415هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض.

- ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة –بيروت، 1379هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي علق علية: ابن باز.

- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحين أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: 741هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، دار الكتب العلمية – بير وتوط/1–1415هـ، تصحيح: محمد علي شاهين.

- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، دار إحياء التراث العربي – بيروت/3–1420هـ.

- ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي البغدادي (795)، **جامع العلوم والحكم في شرح الخمسين حديثا في جوامع الكلم**، دار السلام–ط2–1424هـ، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور.

- ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: 795هـ)، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**، مؤسسة الرسالة – بيروت/7–1422هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط –إبراهيم باجس.

- سالم، عطية بن محمد سالم (ت: 1420هـ)، **شرح الأربعين النووية** (دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية).

- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: 581هـ)، **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/1–1421هـ، المحقق: عمر عبد السلام السلامي.

- أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت: 665هـ)، **شرح الحديث المقتفي في مبعث النبي المصطفى**، مكتبة العمرين العلمية –الشارقة/ الإمارات/1–1420هـ، المحقق: جمال عزون.

- شبة، عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (ت: 262هـ)، **تاريخ المدينة**، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، نشر 1399هـ.

- ابن شهبة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت: 1403هـ)، **السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة**، دار القلم – دمشق/8–1427هـ.

- الشيخ حطيبة، أحمد حطيبة، **شرح رياض الصالحين**.

- الصلابي، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، **السِّيرةُ النّبوية** –عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط/7–1429 هـ.

- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملين، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، مؤسسة الرسالة، ط1-1420 هـ. تحقيق: احمد شاكر.

- عباد، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقان (ت:385) **محيط في اللغة**.

- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: 395هـ)، **جمهرة الأمثال**، دار الفكر – بيروت.

- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيابي الحنفي بدر الدين العيني (ت: 855هـ)، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- الغضبان، منير محمد الغضبان (ت: 1435هـ)، **المنهج الحركي للسيرة النبوية**، مكتبة المنار – الأردن/6-1411هـ.

- الغضبان، منير محمد الغضبان (ت: 1435هـ)، **فقه السيرة النبوية**، جامعة أم القريط/2-1413هـ.

- ابن فارس، احمد بن فارس بن زكريا القزويني (395)، **مقاييس اللغة**، دائرة الفكر 1399 هـ تحقيق عبد السلام محمد هارون.

- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ) **كتاب العين**، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)، **كتاب العين**، دار ومكتبة الهلال، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي.

- القاضي عبد الجبار، بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، أبو الحسين المعتزلين (ت: 415هـ)، **تثبيت دلائل النبوة**، دار المصطفى –شبرا–القاهرة.

- القاضي عياض، موسى بن عياض بن عمرون الحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: 544هـ)، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم**، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مسرط/1–1419هـ، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل.

- القسطلان، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلان العتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: 923هـ)، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، المطبعة الكبرى الأميرية، مسرط/7–1323هـ.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، **صفات المنافقين**، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، عام1410هـ.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، دار الكتب العلمية – بيروت.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، **الطب النبوي (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم)**، دار الهلال – بيروت.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، مؤسسة الرسالة، بيروت –مكتبة المنار الإسلامية، الكويت/27–1415هـ.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط/2–1394هـ.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، دار طيبة للنشر والتوزيع/2-1420هـ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة.

- المبار كفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبارك فورى (ت: 1353هـ)، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، دار الكتب العلمية – بيروت.

- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الروي فعى الإفريقي (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط 3 /1414هـ.

- النجار، محمد الطيب النجار (ت: 1411هـ)، القول **المبين في سيرة سيد المرسلين**، دار الندوة الجديدة بيروت – لبنان.

- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي(ت:676)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي – بيروت/2-1392هـ.

- الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (ت: 207هـ)، **المغازي**، دار الأعلم – بيروت/3-1409هـ، تحقيق: ماردن جونس.

- مواقع الانترنت

http://almunajjid.com

http://www.alukah.net

http://www.hespress.com

http://islamstory.com

http://www.traidnt.net

An-Najah Nation University
Faculty of Graduate Studies

Hypocrisy and Hypocrites
(A Study of the Qur'an and Sunnah)

By
Anas Mahmoud Mustafa Ishtewe

Supervised by
Dr. Hussien Abd Al-Hameed Al- Nqeeb
Dr. Muntser Nafeth Al-Asmar

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Fundamentals of Islamic Law (Usol AL-Din)
An-Najah National University, Palestine
2016

Hypocrisy and Hypocrites
(A Study of the Qur'an and Sunnah)

By
Anas Mahmoud Mustafa Ishtewe
Supervised by
Dr. Hussien Abd Al-Hameed Al-Nqeeb
Dr. Muntser Nafeth Al-Asmar

Abstract

Today, our nation suffers from many different calamities. All these calamities happen mainly because of the hypocrisy which contributed to the spread and increase of them.

This study aimed to shed light on the issue of hypocrisy and hypocrites and how it leads our nation to the corruption and destruction. It also aimed to show the probable dangers that we may face in the future by detecting the attributes of the hypocrites and their means through the verses of the Qur'an and the Hadith to elicit a lesson and wisdom in the face of hypocrisy in the current era.

The study revealed attributes of the hypocrites in the Prophet's era, and their methods in the fight against the Islamic Dawa. The study showed the Prophet's wise approach in dealing with this dangerous phenomenon. It also showed the risk of hypocrisy in the current era.

The study relied on the inductive approach in the first part in order to collect scientific material. It also depended on the analytical approach in the second part for the analysis of scientific material and extract lessons and results.

One of the important findings of this study is that hypocrisy does not come out in the idiomatic meaning one way or another for linguistic meaning. Hypocrisy phenomenon was prominent in the civil Testament prophetic, but it was not in Mecca Covenant due to the lack of reasons for its inception. Hypocrisy had many forms and methods and covered all aspects of life. The danger of hypocrisy appeared at critical positions of the nation, as happened in 'Ohod and al-Khandaq battles.

As Muslims, we must fight all forms of hypocrisy so that we can regain our glory and our booming past.

This study includes an introduction and six chapters and a conclusion. The introduction has the previous studies, the importance of the study, assumptions and the objectives that will be achieved. It also describes the approach presented in the study and the reasons behind choosing the subject. For the following six chapters, they presented the study. They also revealed the meaning of hypocrisy in language and terminology and its significance in the Quran and the Sunnah in the first chapter of the study.

The second chapter talks about the attributes of the hypocrites. The third chapter discusses their means and the effects of their actions in Madinah. Then, in the 4th and 5th chapter, it was revealed the prophet's methods in dealing with them. In the last chapter, the study shows the reality of hypocrisy in the current era and its forms.

At the end of the study, it has the results, solutions and some questions. The study relied on a range of sources and references, comes in the forefront language books and Hadith and interpretation.